حبيب

1208
١٢٠٨

WWW.REWITY.COM

مرمورية

براءة الحب

صادر عن دار م. النحاس

براءة الحب

كانت جنيفر منذ طفولتها تحب الرسم والفن، فعمدت سيدة البيت التي تعمل والدته فيه الى مساعدتها بإيجاد محل لتعمل فيه وتبيع رسوماتها والتحف.

لكن الحظ لم يكن الى جانبها حين اتى حفيدها لوسيان يطالب باقفال المحل لانها تعمل فيه بطريقة غير شرعية كما اتهمها بالسرقة وتقليد التحف.

فبدأت معركتها معه لتبرئة اسمها.

52-87000-34707-5

براءة الحب

«ليس كل النساء يجدنك لا تقاوم.»

«هل هذا ما اعتقدهِ به؟»

«هل تنكر ذلك حقا؟» رمته بهذا التحدي بغضب ظاهر، مع ان الغضب الذي شعرت به كان في نفسها بقدر ما كان منه. لمَ كانت تشعر بأن هذا النقاش خطير؟ لِمَ لا تضع حداً لهذا الأمر ببساطة؟

لكنها لم تفعل، على العكس،اضافت:«انت تعرف ذلك دائما، انه لا يوجد امرأة قادرة على مقاومتك.»

الفصل الأول

كانت جنيفر تضع رسالة في صندوق البريد الموجود عند الزاوية عندما احست بخيال شخص امامها فجأة. رفعت نظرها مذهولة لترى لوسيان يقف امامها. بدا ذلك وكأنه سهم محكم أصابها.

اختلست النظر مصدومة باتجاه الشخص، ذو الشعر الأسود والعينين الخارقتين والكتفين العريضتين المتناسقتين مع القميص، واضعا يديه بتكاسل داخل جيبي بنطاله. أحست بأن دماءها قد تحولت الى جليد في اوردتها. لكن سرعان ما استجمعت قواها وقالت وهي تنظر إليه:«انا اتساءل ماذا فعلت لأستحق هذا؟»

«وأنا اتساءل فعلاً.»

كان متكئاً على صندوق البريد، بصورة متألقة، لرجولة متعجرفة، مبتسما لها تلك الابتسامة التي عرفتها جيداً وكرهتها. ابتسامة رجل يعرف بأنه يمتلك الكثير.

قاومت رغبتها في ان تمد يدها الى شعرها لتلمسه او تتحقق من ان ازرار البلوزة كلها مغلقة بلياقة، وحقيقةٍ قدرتها على مقاومة ذلك كانت انتصاراً ضئيلاً، لأنها سابقا لم تكن قادرة على المقاومة. لقد خضعت من قبل للاضطراب الذي ولده فيها،

حيث سادها ذلك الشعور بالحساسية، وحتى الآن، لا زالت قادرة على تذكر كل ذلك جيدا.

لكن مع ان اضطرابها انفجر في داخلها الا انها كانت قادرة على كبته بسرعة. عرفت انه ينظر باتجاهها، الا انها لم تعد تكترث كثيرا.

انه ينظر اليها الآن بأسلوب اكثر بساطة! تلك الابتسامة المتعجرفة الساخرة لا تزال ترتسم حول شفتيه. اخبرها، وعيناه تجولان عليها:«كنت أبحث عنك، لقد اخبروني انك ذهبت للخارج بشأن عمل. كنت في طريقي الى المنزل عندما لمحتك فجأة.»

انحنى بصورة مريحة أكثر باتجاه صندوق البريد:«ألا يعتبر ذلك ضربا من ضروب الحظ؟»

جاهدت لكبت انذار الخطر المفاجيء، كم مضى منذ آخر لقاء لهما؟ حوالي ثمانية عشر شهرا. نادرا ما أتى لوسيان في تلك الأيام الى القرية إذ ان عمله الدولي قد استقر في لندن، وذلك اللقاء الأخير قد مر بسرعة وبالكاد كان لطيفا، فقط مثل لقاءاتهما الاخرى السابقة. لو أنه جاء ليبحث عنها الآن، فهذا يعني شيئا واحدا، المتاعب. عندما دخل لوسيان حياتها، كان يعني المتاعب دائما.

ابتسم لها، مدركا تماما ما تفكر فيه. شعرت جنيفر بمرحه ما ان قال:«أجل، هذا ما اعتقدته، ايضا. ضربا مدهشا من ضروب الحظ.» جالت عيناه السوداوان عليها بتعجرف ثم اضاف بلا مبالاة:«كنت هناك،

اقود سيارتي عائداً الى عمتي ميمي، مستسلماً للأمر الواقع بأنني لن أجدك ابدا، عندما لمحتك فجأة تعبرين الطريق، في طريقك لارسال رسالة. بصراحة، لم أكن ابدا اكثر سعادة.»

«كم هو غريب.» نظرت إليه جنيفر من خلال عينين خضراوين مرتابتين:«لست دائما بهذه السعادة لرؤيتي.»

«ألستِ كذلك؟»

«حتما لا.»

ابتسم لوسيان:«محتمل ان تكوني على حق.» ضاقت عيناه السوداوان خلف الرموش القاتمة:«اعتقد بأنني كنت سعيدا الى هذا الحد لأنك انقذتني من عناء البحث عنك. انت تعرفين كم اكره إضاعة الوقت.»

ذلك صحيح تماما. اومأت جنيفر إيجابا، فلطالما كان لوسيان رجلا على عجلة من أمره. حتى عندما كان صغيرا فقد كانت تشعر بنفاد صبره. لقد عرفت بأنه يتسلق المرتفعات العالية، بسرعة.

كانت طاقته لا حدود لها وصفتها بأنها متدفقة ومسيطرة في آن معا، وما زالت تشع منه حتى وهو متكىء الآن الى صندوق البريد، مثل شرارات كهربائية.

قالت له:«يا للأسف، إذن، لقد اندفعت امامك فجأة وبكل سهولة. ولكني على الارجح افضل فكرة اضطرارك للبحث عني.»

نظر لوسيان في عينيها:«اراهن انك كذلك، وأراهن انك قد فضلت ايضا لو انني لم اجدك.» ذلك الادعاء، كما يعرفان، لا يحتاج الى اثبات فعلي.

كانت عينا جنيفر الخضراوان الناعمتان تنظران اليه بقساوة، مأخوذة بسمرة وجهه، شعره الأسود اللامع، عيناه السوداوان المتألقتان، وشعرت بالخطر يتضاعف لديها.

وجدت نفسها تفكر، انه يبدو وسيماً كما بدا دائماً. لو أنه كان أي شخص سوى لوسيان، فان مجرد رؤيته سوف تبدلها وتشعرها بالسعادة.

لكنه كان لوسيان، إذا فكيف يمكنها فعل أي شيء سوى التمنى من كل قلبها لو انه لم يجدها ابدا، في حين ان كل ما سببه لها هو المعاناة والعار؟

«إذا، الست على وشك ارسال الرسالة؟»

جفلت عندما تكلم، واختلست النظر باتجاه الرسالة التي نسيت كل شيء بشأنها مع انها لا زالت تمسكها بيدها.

اضاف:«ظننت ان هذا هدفك.»

«أجل، هذا هو هدفي.» استجمعت نفسها ودفعت الرسالة داخل الصندوق بنشاط:«لقد وضعتها!»

وبينما كانت الرسالة تنزلق الى الداخل، كان باستطاعتها ان تستدير وترحل.

أمل خائب! كان واضحا ان لوسيان لن ينتهي معها سريعا، واجهته وسألته، وكأنها امسكت بخيوط

خفية، ليست متأكدة تماماً من رغبتها في سماع الجواب:«إذا، لأي سبب هام كنت تبحث عني؟»

«ربما لمجرد ان القي التحية.»

رفعت رأسها بحركة مفاجئة وقالت:«اوه، اجل، اصدق ذلك! ارى انك لم تفقد حس الدعابة.» تظاهرت بأنها تستدير للذهاب:« في تلك الحالة بما انك القيت التحية، فمن دواعي سروري الآن ان اقول وداعا.»

اوقفها، وكأنها تعرف بأنه سيفعل، تحرك ببطء، ليقطع طريقها.

قطب جبينه قائلاً:«لو ان الأمر بهذه البساطة فقط، فأن ذلك سيكون اكثر سعادة لكلينا. لكن، للأسف، فهناك اكثر من ذلك.»

«توقعت ان يكون الأمر كذلك.» انقبض قلب جنيفر في داخلها.

تألقت العينان السوداوان امامها، وقد كانتا تنذران ايضا. بالكاد كان هناك اثرا لمزاحه المتعجرف السابق الآن.

اضافت وهي تخفي حدتها:«إذاً ماذا تريد مني؟»

استقام اكثر وأخبرها قائلا:«ليس هنا. اختاري بيتي او بيتك. انني اتساهل معك.»

يتساهل؟ كان ذلك مضحكا! فلوسيان كانت لديه صفات كثيرة الا انه لم يصف في حياته على انه متساهل ابدا. لم تعلق على ذلك. بل عوضاً، وبطريقة عرضية قدر الامكان، سألته:«هل هو ملزما الآن فورا؟»

«ليس ملزماً. ان كنت تفضلين، يمكن ان يكون هذا المساء.» جالت العينان السوداوان عليها وتابع:«لم، هل انت على عجل؟»

«قليلا.» كان تفكيرها يتحرك باضطراب. هل سيكون من الافضل ان تؤجل الموعد؟ او، هل تنهي كل شيء الآن مهما يكن؟»

ابتسم مرة ثانية:«لقد اخترت الموعد. ارأيت كم انا متساهل؟ انني متساهل بشأن ذلك، ايضا.»

كان يهزأ بها. ذلك واضحاً. لقد أثار عصبيتها وهذا شيء يرضيه، ارتابت جنيفر بشأن التخلص من هذا الصراع. لذلك قررت:«حسنا، لنجعل ذلك الآن.»

فكرت، لن العب لعبته الحقيرة. لن أدعه يؤثر علي. وإضافة الى ذلك، ليس هناك سبب، لأن تكون عصبية. فلا سلطة له عليها، ولا تأثير على حياتها.

اضافت بنبرة حادة:«نستطيع التحدث في المتجر، كنت في طريقي الى هناك على أي حال.»

«هذا يناسبني جدا. لنلتقي في المتجر، اذا.» استدار وأشار الى حيث كانت سيارته متوقفة، خلف شاحنة جنيفر الصغيرة عبر الشارع:«سأراك هناك بعد حوالي خمس دقائق.»

«خمس دقائق. حسنا.» اومأت جنيفر بالموافقة، بلمحة اخيرة باتجاهها، توجه الى سيارته الحمراء اللون، الايطالية الصنع، المخيفة الخطرة والتي تعكس بعض الشيء شخصية مالكها. ومع ان خطوتها كانت ثابتة

بينما هي تمشي خلفه عبر الطريق، شعرت فجأة بأن قلبها اصبح ثقيلا في داخلها.

ماذا يريد منها؟ تمنت ان يكون امراً بسيطاً، يمكن معالجته بأقل نسبة من الجراح.

وكيف يمكن ان يكون أي أمر آخر؟ طمأنت نفسها بسرعة. هذه الأيام، اصبحت طريقة حياتهما متباعدة تماماً. حياتها، المتجر، رسمها وكلايف، كانت بأمان بعيداً عن لوسيان المحطم. لم يكن هناك أي اذى محتمل باستطاعته ان يلحقه بها.

لكن ما ان جلست خلف عجلة القيادة حتى رأت من خلال مرآة شاحنتها، سيارة الفيراري الحمراء تهدر بحيوية، عرفت من أعماق قلبها بأنها كانت تخدع نفسها. لطالما عانت من المتاعب لابتعادها عن لوسيان.

وما ان رأى عينيها في المرآة وابتسم، حتى استقر الرعب في معدتها. فقد ارتابت بأن كل وجه من اوجه حياتها، سوف ينقلب بقساوة رأساً على عقب.

في الوقت الذي وصلت فيه الى المتجر استجمعت جنيفر كل قواها.

لقد شاهدت الفيراري الحمراء تختفي من امامها الى أسفل الطريق الترابية، المزروعة بشجر الجميز على كلا الجانبين، قالت لنفسها بصوت ثابت، اثنان من الحقائق الأساسية؟

الأول، هي ان لوسيان كينغسلي كان وغداً أنانياً

توجب عليها ان تكون اكثر وعياً من ان تسمح له بازعاجها. هل حقا قد نضجت بالنسبة لمثل هذا الإحساس منذ زمن بعيد؟

اما الحقيقة الثانية، فعلى الرغم من طبيعته المسببة للمتاعب، إلا انه لم يكن هناك أي سبب للخوف من انه قد يسبب لها المتاعب. وبكل بساطة، ان من الحماقة ان تتوهم بأنه قادر على ذلك.

لقد كان ذلك الاحتقار الذي كانت تحسه في داخله، والطريقة التي ينظر إليها، ما زال قوياً لإيقاظ المخاوف غير المنطقية.

اقتربت الى خارج المتجر الذي يبعد قليلاً عن الطريق، في قلب قرية كينتش الجميلة، حيث امضت اسعد أيام سنواتها البالغة أربعة وعشرين عاما. وعلى الرغم من الفيراري الحمراء التي توقفت هناك الآن، والجسد الأسمر الواقف عند المدخل، شعرت بومضة مطمئنة دافئة من الانجاز.

هذا كان لها. لها ولكلايف. متجر الفنون والحرف الصغيرة المتناسقة بلافتته الخشبية المطلية، التي تحمل اسم، الكنوز النفيسة، قد برهن بأنه، على الرغم من رأي لوسيان المنحط عنها، فقد وصلت الى أمر ذي شأن في هذا العالم من لا شيء، وبالطبع مع مساعدة كلايف التي لا تقدر بثمن أسست عملا صغيرا ناجحا.

على اثر الفكرة الرئيسية الواضحة، نزلت جنيفر فجأة

من الشاحنة، غير مبالية في سبب رغبة لوسيان في رؤيتها.

«لدي بعض الرسومات التي علَيّ افراغها من الشاحنة.» رمقته بنظرة سريعة بينما كانت تخطو الى خلف الشاحنة، فتحت الباب وانحنت للداخل. ثم، من اجل ازعاجه، اضافت:«سوف تستغرق بعض دقائق فقط.» لا بد أنه توقع ان تكون جاهزة فورا. فذلك نوع من السلوك الخاضع الذي أحبه.

انه يستمتع بإصدار التعليمات.

«سأحملها لك.» في الحال اصبح خلفها تماماً. مد يده وهو يقول:«تبدو وكأنها ثقيلة الوزن.»

«ليست ثقيلة كثيرا. استطيع تدبر الأمر.» رمقته جنيفر بنظرة غاضبة من فوق كتفها بينما هي ترفع الرسومات الظاهرة إلى فتحة الشاحنة:«اقوم بهذا النوع من العمل دائما.»

«إذا، الا يساعدك صديقك على ذلك؟» لم يتحرك ولا سنتيمترا، ومن الواضح انه لم يكن عازما على فعل شيء كهذا الى ان أمسك الرسومات بيديه. وقد اعتقدت جنيفر ان ذلك كان نموذجيا بالنسبة للوسيان. يحب ان يفعل ما يريد.

اضاف، وهو يراقبها بدقة:«لقد ادهشتني. اعتقد منذ الآن بأنك قد دربته تدريبا جيدا.»

«تدريبا جيدا؟» ضحكت ورفعت حاجبها:«هل تعتقد بأن هذا مكان خاص بالنساء لتختبر وتدرب الرجال

في حياتها؟ انت تعرف انه من المفروض بأنهم يافعون مسؤولون.»

ابتسم لوسيان مازحاً:«وبعضنا كذلك. مع ان بعض النساء يعتبرن ان اختبار وتدريب الرجال في حياتهن نوعاً من المهنة، وبالطبع، بعض الرجال الذين يسمحون لهن بالقيام بذلك هم اغبياء حقا.»

«لكن بالطبع، لست انت.»

«هذا ليس بحاجة لكلام.»

ابتسمت جنيفر. أجل، هذا فعلاً ليس بحاجة لكلام. فقد رأت بعينيها كيف كان يتصرف مع صديقاته.

لكن ما ان لاحظ ابتسامتها حتى ابتسم لها بمرح، ادارت نظرها بعيداً عنه بسبب الشعورالغريب الذي تضارب في داخلها.

حسناً، ان ذلك الاحساس السريع التأثر المسيطر على قلبها الذي شعرت به ما ان التقت عيناهما ومرت تلك الابتسامة بينهما، ليس غريباً، بل مألوفاً تماماً، مع انه مرتبط بالماضي.

لقد قاومت ذلك الشعور ووجدت نفسها فجأة تتمنى لو أنه لم يحصرها بإحكام مقابل الشاحنة.

قالت جاهدة بنبرة خفيفة، وهي لا تزال تمسك بالرسومات:«حسناً، انا لست من صنف النساء المصلحات، على أي حال، ولحسن الحظ فكلايف ليس بحاجة للتدريب.»

«أرى ذلك، انه مثالي، أليس كذلك؟»

«آه، لا اعتقد بأن هناك شخصاً مثالياً.» نظرت إليه بتحد وواجهته قائلة:«هل تعتقد؟»

«اؤمن بأن كل شيء ممكن.» واجه تحديها بابتسامة.

اختلست العينان السوداوان النظر إليها بينما هو يميل برأسه بتعجرف:«أظن علي ان اصدق بأن هناك عدداً قليلاً من الافراد المثاليين متفرقين في العالم.»

«اعتقد بأنك تعرف مكان واحد منهم على الأقل ايضاً.»

كانت نبرة جنيفر ساخرة ومليئة بالاستنكار. لقد عرفت لسنوات عديدة ان لوسيان يعتبر نفسه مثالياً.

«اعرف هذا جيداً...» انحنى متكئاً على باب الشاحنة، مسبباً الخفقان السريع لقلب جنيفر وكأنه يحاصرها اكثر:«اعرف ذلك، أينما كانوا منتشرين، فلا احد منهم في حياتك... انا أشير إلى صديقك العزيز، بالطبع. فهو بلا شك ليس واحداً منهم.»

«لم تعرفه تماماً.»

«لقد لاحظت استياء معالمه.»

«مرة واحدة! ولدقيقتين.»

«دقيقتان كانت كافية تماماً.»

تمنت جنيفر ان يفسح لها الطريق عندما اوقف كلامه. فهو الآن يقف قريباً جداً، استطاعت تنشق رائحة عطره

فيما ضغطت يداً دافئة عليها تقريباً. وكلما ادركت تلك الأمور اكثر كلما وجدت صعوبة في التنفس. بدا غير أبه، باستيائها. عيناه السوداوان تهزآن بها عندما بدأ يتوسع في كلامه:«كما قلت، دقيقتان كانت كافية تماماً. فأنا قاضٍ دقيق وسريع البديهة.»

ابتسم قليلاً، ابتسامةً مَرِحة، لكن خلف هاتين العينين السوداوين هناك ظلاً أسود. وتلك النظرة، من دون الحاجة لأي كلمة، كانت كافية لتنبه جنيفر عن كيفية محاكمته لها، وعن كيفية صدور ذلك الحكم، حيث عدم الانصاف فيه، قد شلها تقريبا.

انصب غضب متجدد في داخلها. فهي لم تعد تشعر بأنها سجينة. ألم تكف عن كونها سجينة لوسيان منذ زمن بعيد؟

دفعت الرسومات باتجاهه قائلة:«ان كنت متحمساً الى هذا الحد للمساعدة، احملها.» ثم خطت خلفه، تتنفس الصعداء متوجهة بسرعة الى باب المتجر.

«آه، شيرين كيف هو البيع؟ هل من زبائن؟»

ابتسمت للفتاة الشابة الجالسة خلف المكتب وشعرت ان توترها يتزايد. هي الآن في مكانٍ خاص بها. كان لوسيان هو الغريب هنا. لم تعد لديه أي سلطة عليها.

ازدادت شيرين توردا. نهضت وهي تجيب:«لقد بعت احدى علب المجوهرات، فقط، انا آسفة.»

«احدى علب المجوهرات الصدفية؟ جيد بالنسبة لك.»

ابتسمت جنيفر لشيرين، لكن عيني شيرين الزرقاوين كانتا مثبتتين على لوسيان.

اجاب لوسيان:«مرحبا يا شيرين. إذاً، أأنت تعملين لحساب جنيفر هذه الأيام؟»

«فقط بعض الوقت.. الى ان اجد وظيفة ثابتة كل الوقت. انت تعرف، لقد تركت المدرسة في نهاية العام الدراسي.»

ازداد توردها، اثناء تكلمها. كان باستطاعة جنيفر سماع اضطراب دقات قلبها تقريبا. تنهدت سرا باستسلام، مظهرة بانزعاج بارد انها رأت هذا المشهد القصير يمثل الف مرة وكل مرة مع فتاة مختلفة. كانت هي نفسها احداهن.

نبهت نفسها، الى ان يتعلم الفرد رؤية ما وراء القناع الجميل. ثم، وبكل سرور يصبح الفرد ذو حصانة.

«بامكانك الذهاب الآن، اذا اردت. انني على وشك الاقفال حالا، وأشك بأنه ما زال هناك زبائن اليوم.»

خاطبت جنيفر شيرين التي لا زالت متسعة العينين ومتوردة الوجنتين، مع انها ارتابت بأن الفتاة المسكينة لم تسمع مطلقاً أية كلمة. وهكذا، ابتسمت بمحبة، مكررة بصوت اعلى قليلا:«بإمكانك الذهاب الى المنزل الآن، يا شيرين، إذا احببت.»

«أوه!» نظرت شيرين خلسة باتجاه جنيفر:«الا تريدينني ان اساعدك بهذه الرسومات؟»

قال لوسيان:«لا تقلقي يا شيرين. انا سأساعدها. لا حاجة لأن تبقي.»

www.rewity.com

قالت وهي مسرعة للخارج:«سأراكما في ما بعد، إذاً.»
«اين تريدين الرسومات؟»
ما ان اغلق الباب خلف شيرين، حتى استدار باتجاه جنيفر، وقد رفع حاجبا واحدا. كان هناك نظرة انعزال باردة هائلة في العينين السوداوين تجعل الفرد يؤمن بأنه لا يعرف ولا يهتم كثيرا بشأن سلطته على النساء.
والمؤلم حقا، هو حدوث ذلك لجنيفر باستمرار. وهذا ما يسهل الأمر له لاستغلال تلك السلطة.
قابلت نظراته بنظرة باردة وقالت:«سأحملها الى المخزن.» ثم رفعت ذراعيها لتحمل الرسومات.
الا انه لم يسلمها لها، بل وببساطة ابتسم بمرح، تلك الابتسامة المعجرفة التي كرهتها كثيرا. وأخبرها قائلا:«سأحملها، انا اقوم بإنهاء الاعمال التي ابدأها. لا اتصور أنني أترك هذه الاشياء هنا في منتصف القاعة.»
هزت جنيفر كتفيها لا مبالية:«افعل ما يحلو لك. المخزن هناك.»
توجهت نحو الباب وفتحته. ثم خطت جانباً كي تفسح المجال ليمر من خلاله. لم تكن تريد ان تعيد الغلطة نفسها التي ارتكبتها عند الشاحنة والانتهاء بحبسها معه في المخزن.
اضاءت النور الكهربائي، ثم قالت له:«فقط ضعها في أي مكان، كدسها مقابل الحائط بشكل فردي.»

ما ان شرع بفعل ما طلبته، حتى وقفت جنيفر عند العتبة تراقبه. ليس غريباً، انها وجدت نفسها تفكر، انه يؤثر في النساء بالشكل الذي يريده بهيئته السمراء، هو بصراحة اجمل رجل رأته على الاطلاق. الا ان شكله الوسيم كان فقط جزءا صغيرا بالنسبة لقوته. لقد كانت صفة أخرى ملموسة بدرجة أقل وقد سببت تحطيما لقلوب الاناث.
ضاقت عيناها وهما تنظران اليه وهو يكدس الرسومات مقابل الحائط انها تلك الوحشية الجامحة المنتشرة حوله، تنذرها بالضعف، لكنها في الوقت نفسه مثيرة تماما.
الخطر ينبعث منه، ويتحطم في الجو من حوله، فتجذب النساء إليه كما تنجذب الفراشات للهب.
«بعض هذه جيدة نوعاً ما.»
استيقظت جنيفر من الاستغراق في التفكير الحالم. اختلست النظر إليه بارتباك وقالت:«عفوا، ماذا قلت؟»
«لقد قلت ان بعض هذه الرسومات جيدة نوعاً ما. هل الرسام شخص محلي؟»
«أجل، انه يعيش قريباً من هنا بجانب اولد ميل. لقد بعنا كمية جيدة من اعماله، وهو محبوب الى حد ما.»
«لست مندهشاً، انا نفسي لا أمانع في شراء واحدة لنفسي.» كان يسير باتجاهها. توقف عند المدخل

وأضاف:«وماذا عنك؟ ألا ترسمين بعض الرسومات هذه الإيام؟»

«قليلاً عندما اجد وقتاً.» شعرت بمعارضة لمناقشة هذه النقطة الرئيسية معه الجزء الحيوي من حياتها، لأن الحقيقة كانت، انها ترسم متى استطاعت. فالرسم بالنسبة إليها كان أهم من أي شيء آخر.

هزت كتفيها لا مبالية:«المتجر يأخذ معظم وقتي.»

«أجل، اعتقدت ذلك.» كان لوسيان يراقبها بدقة، بدت في عينيه نظرة فاحصة غريبة:«إذا أخبريني، كيف تقيمين أسعارها للبيع؟»

طرح عليها هذا السؤال، مشيراً الى الرسومات التي ما لبث ان انتهى من تكديسها في المخزن.

فكرت لبرهة ثم أجابت:«هذا يعتمد على الحجم والمناظر التي بعضها مطلوب اكثر من الآخر.»

«لقد اعتقدت ان الصور التي تمثل مناظر طبيعية محبوبة اكثر.» خطا لوسيان من خلال المدخل ليقف امامها ثم فجأة كان هناك وميضاً مفترساً في عينيه:«فقط من المجموعة الصغيرة المختارة هناك، قلت ان صور المناظر الطبيعية كانت نقطة تركيزه.»

«أجل، معك حق، انها تميل لأن تكون اكثر رواجا.» ارادت ان تبتعد، لكنها لم تستطع. شعرت وكأن قدميها مثبتة بالأرض. وكانت تلك النظرة المفترسة في عينيه قد سمرتهما في مكانهما.

أضافت بصوت أجش قليلاً:«الجميع يحبونها.»

«بالطبع انها كذلك.»

شعرت بانزعاج لقربه منها، مع أنه كان يقف على بعد قدمين عنها. كانت الطريقة التي ينظر اليها بها تبدو وكأنها تستنزف قوتها، جاعلة منها أسيرة عينيه.

قال لها:«هل تبيعينها محليا ام ان لديك اتصالات إقليمية النطاق؟»

«محلية غالبا كمعظم سلعنا.»

عندما نظرت إليه مجدداً، شعرت بقلبها يضيق بانزعاج. لربما كانت الاسئلة التي يطرحها عرضية، الا انها ولسبب ما، وبشكل متزايد، بدأت تبدو وكأنها تحقيق قاس.

اخذت نفساً عميقاً لتتجاوز ذلك الشعور، ثم توسعت في النقاش:«لدينا زبون او اثنان اشتريا من عندنا بينما هما في عطلتهما. احيانا اتصل بأحدهما ان كان لدي شيء اعتقد بأنه سينال اعجابهما.»

«إذا، لا يباع كل شيء محليا؟»

«لا، ولكن معظمها.»

«معظمها... تعنين البضاعة الكاسدة؟»

«لا، لا أعني ذلك. لا شيء من البضاعة كاسد. جميع الفنانين والرسامين المتعاملين معنا لهم موهبة عالية.»

شعرت بغضب شديد بسبب إهانته فهي تعتبر جميع الفنانين الذين تبيع اعمالهم كعائلة!

ابتسم ساخرا:«أجل، لكن بعضهم موهوبون اكثر من الآخرين. اعمال بعضهم، مثلاً ذلك الرسام الذي

اوصلت اعماله منذ برهة الى المخزن، يمكن ان تباع في مكانٍ آخر بأسعار اعلى من التي يمكن ان تطلبينها محليا. اقصد، في لندن، مثلا، بإمكانك ان تطلبي ضعف المبلغ على الأرجح.»

نظرت جنيفر إليه، شاعرة ان التوتر في داخلها قد اصبح على أشده. كان هذا الحوار بالتحديد تحول الى تحقيق.

اخبرته بنفاد صبر:«أدرت متجراً للحرف الفنية في كنت وطلبتٍ نوع الاسعار التي تناسب المنطقة. لا أعرف شيئاً عن الاسعار في لندن...»

«ألا تعرفين؟» فجأة، مد يده باتجاهها وأمسك فكها برفق بأنامله السمراء الطويلة. بدت أنامله وكأنها تحجزها. اتقدت عيناه كالحديد الحار وأضاف:«سامحيني، لأنني أجد صعوبة في تصديق ذلك.»

تجمدت للحظة بسبب لمسة الاصابع الباردة. وشعرت بقلبها يتحطم من الخفقان السريع المضطرب. وبينما هو يقرب وجهه أكثر، شلت اوصالها بسرعة. حدقت إليه، بينما هو يدمدم:«انت كاذبة، ألست كذلك؟»

ماذا جرى له؟ هل جن أم ماذا أصابه؟ وقالت:«كاذبة ولِمَ؟»

«بسبب طبيعتك غير الشريفة إذ انك لا تجدين الشرف امراً سهلاً ابداً.»

شعرت بالغضب المفاجيء في داخلها، حاملاً معه

الرغبة في الدفاع عن نفسها. صاحت قائلة:«ابتعد عني! كيف تتجرأ وتضع يدك علي؟»

ابتسم بازدراء، مبعداً يده عنها:«معك حق، لم يكن من المفروض ان افعل ذلك. المرء لا يحب ان يعرف ابداً... عديمة شرف مثلك يمكن ان تكون مصيبة على المجتمع.»

نظرت جنيفر إليه مجدداً شاعرة ان وجهها قد تجمد. كلامه معها وتعبيره المليئان بالاحتقار سببا لها صدمة عميقة، مع انها تعرف ان ذلك لم يحصل. لم تهتم لاستمراره بالاحتفاظ بمثل هذه النظرة السيئة عنها؟

اخبرت نفسها بأنها لن تهتم. عادت بأفكارها للماضي وإلى انه سيطرح امامها ذلك الحادث المؤسف الذي اوجد لديه تلك النظرة السيئة عنها كل تلك السنين الماضية. ذلك الحادث، الذي أصبح الآن، يعتبر بأنه منذ ذلك الوقت قد ولى زمان وعاد زمان آخر.

لكن من الطريقة التي كان ينظر إليها بها، بدا بعيداً عن الواقع. خطت مبتعدة عنه، علق على ذلك قائلاً بصوت أجش:«أية كاذبة انت!»

لم تستطع تحمل ذلك. فقالت له بغضب:«لقد قلت انك اردت التحدث معي. هذا هو السبب الوحيد انني سمحت لك به ان تطأ داخل متجري.» توقفت عند المكتب وانحنت باتجاهه:«مهما يكن ما تريد التحدث بشأنه، سأكون شاكرة لك لمجرد نطقك به.»

«أوه، لا تجزعي، سأتكلم.» كان لا يزال واقفاً عند مدخل المخزن:«لن ادعك تنتظرين وقتا أطول.»

«أفضل ألا تدعني انتظر على الاطلاق. لدي أمور مضطرة للقيام بها اكثر من انتظاري للاصغاء اليك.»

«أشك بذلك. وسوف يتبين لك ان الاصغاء إلي مليء بالمعلومات، مع أنها غير سارة على الأرجح.»

«وماذا يعني ذلك؟» تشبثت اصابعها بالمكتب. لقد بدأت تشعر كفأرة وقعت في مصيدة.

«كل شيء في الوقت المناسب.» ثبتها بنظرة حذرتها بأنه سيعتبر أي محاولة منها لحثه على الاسراع اضاعة للوقت. الا انها عرفت ذلك فورا فهو يحب فعل الاشياء على طريقته، تماما كما اعتاد ان يفعل طوال حياته دائما.

مد يده من خلفه وأغلق باب المخزن. آنذاك ضاقت عيناه وهو ينظر إليها:«ربما من الافضل ان تقفليه. أنا متأكد انك لا تحبين رؤية لصوص آخرين يسلبونك كل ارباحك.»

لصوص آخرون! لا، لم ينس. ذكريات اجرامية، جعلت جنيفر تبعد نظرها. لكنه مخطىء مع انها تصرفت كواحد منهم، لكنها لم تكن سارقة ابدا. وليس هناك سبب لتخبره بذلك الآن، فقط لأن تلك المسألة لن تحدث بعد الآن.

قالت محتفظة بهدوء صوتها، مجبرة عينيها على

النظر في عينيه مجدداً:«لا تقلق، سأقفل كل شيء قبل ان أذهب.»

كانت على وشك ان تضيف، حالما تقول ما لديك، الا انها أطبقت فاها في الوقت المناسب فذلك سيجعله يأخذ وقتا اطول ليتكلم.

خطا خارج الباب وبدأ ينظر حوله في المتجر، الى الرفوف التي عليها المنحوتات الزجاجية والفخارية والخشبية، مختلسا النظر إليها، ثم علق قائلا:«لديك مجموعة من الاشياء المثيرة للاعجاب هنا. ومع ذلك، ارى ان ليس كل شيء يشحن الى لندن.»

لِمَ يذكر لندن دائما؟ هل يحاول ارباكها؟ تجاهلت عن عمد التلميح. وأجابت بصوت حاد:«لدينا مجموعة من الاشياء الجميلة.»

«جميلة جدا. اهنئك على ذوقك.» ابتسم ابتسامة المنتصر اظهرت شعوره بالتفوق:«لكن علاوة على ذلك تظهرين ذوقا حسنا دائما.»

تذكرت منذ وقت طويل مضى عندما كانت لا تزال طفلة وهو يكبرها بسبع سنوات، لم يكن هو نفسه اكبر من مجرد طفل، عندها قال لها كلاما مشابها لما قاله الآن، بأن لديها عينين تريان الاشياء الجميلة. لا تزال قادرة حتى الآن على تذكر شعورها بالرضى والاطراء. اجابت بنبرة مريرة:«تعني ان هذا يتناسب مع ذوقك؟ هذا ما يقصده الافراد عموما عندما يقولون بأن احدا لديه ذوق حسن.»

«أهو كذلك؟» لم يوافق ولم يعارض رأيها، بل المزعج في الأمر انه اعتبر ان ذلك لا ينطبق عليه. فكما يعرف كلاهما، ان طبيعة الاشياء التي يقوم بها او يقولها ليست بالضرورة باستطاعة احد اتهامه بأنه مثل الجميع.

استمر بتأمله للمتجر الصغير ومحتوياته بتأثر واضح:«لا بد انك قد عملتِ بجهد كبير لبناء هذا المتجر. كان قد استمر خالياً لسنوات عندما اجرتك إياه عمتي ميمي. والآن انظري إليه، لقد تغير الى حد بعيد.»

«أجل، لقد عملنا بجهد.» دام ثمانية عشر شهراً من الكد المتواصل! الا ان كل ذرة من الجهد اصبح لها قيمة مادية. فهي الآن لديها الوسائل لدعم نفسها، وفنها.

«أجل، من المؤكد انك عملت بجهد... انت و... ما إسمه؟»

أثناء تكلمه، حمل لوسيان فخارة صينية ناعمة موضوعة على وحدة العرض مقابل النافذة. وزنها بيده ما ان اجابت جنيفر:«اسمه كلايف.»

«آه،نعم، بالطبع... كلايف.» ابتسم بمرح. لقد وجد ان اهانتها امراً مسلياً بتظاهره نسيان اسم شريكها وصديقها. اختلس النظر الى الفخارة الناعمة، ثم سألها مجدداً:«إذاً، اين هو... كلايف؟ لِمَ ليس هنا؟»

«انه مشغول... في رؤية بعض اصحاب الحرف الذين نتعامل معهم. لِمَ؟ هل من الضروري ان تراه؟»

هز رأسه وقال:«لا، ليس ضرورياً. على الأرجح كنت اعتقد بأنه ربما رغب في ان يكون هنا. بما انه شريكك في العمل، انا أكيد بأنه سيكون مسروراً بما لدي لأخبرك إياه...»

عندما تكلم، قذف الفخارة بمرح في الهواء.

شعرت بسهم من القلق المضاعف. القلق من انذار الشؤم الذي في صوته، والقلق من امساكه للفخارة. فهي قطعة جميلة ومباعة.

اجابته:«وماذا لديك لتخبرني به؟» تجرأت فجأة على عدم النظر الى عينيه.

مرة ثانية امسك بالفخارة وحملها بخفة، من دون شفقة، وقال لها:«اخبار سيئة، أنا آسف.»

«اخبار سيئة؟ ماذا تعني؟» برغم الخوف الذي اهتز في داخلها، حولت جنيفر بصرها مجدداً ليتشابك مع بصره.

«عم تتحدث؟ أي نوع من الاخبار السيئة؟»

«آسف لقولي، الاسوأ.» امسك بالفخارة مجدداً. لاحقت جنيفر حركاته فيما هو يحملها برشاقة بيده:«كل هذا...» اشار حوله بيده الاخرى:«كل هذا، واحسرتاه، على وشك الانتهاء.»

«الانتهاء؟» وشعرت ببرودة بدأت تسري من اخمص قدميها وببطء انتقلت تدريجياً الى فروة رأسها. لم

تعرف عما يتكلم، الا انها ادركت بأنه لم يكن يمزح.
«اجل النهاية.» كانت عيناه تنظران إليها، ببرودة وعدم شفقة:«انه من واجبي ان اعلمك انه مفروض عليك تصفية اعمالك هنا مع نهاية الشهر.»
فغرت جنيفر فاهها:«عم تتحدث؟»
«اعتقد بأنه واضح بما يكفي. اعلمك بأن عليك ان ترحلي.»
«لكنك لا تستطيع فعل ذلك. هذا يحطم اعمالي. ليس لديك الحق. لا تستطيع فعل ذلك!»
«آه، نعم، استطيع.» حدقت عيناه بعينيها وهو يقذف الفخارة بخفة في الهواء مرة اخرى. لكنه هذه المرة فقط لم يمسك بها وتركها تقع على الارض وتتحطم، تناثرت إربا محطمة حول اقدامهما.
التقت عيناه بعينيها وهي الشاحبة الوجه، ثم وبابتسامة صغيرة متلذذا بعذابها ترك نظره يتجه نزولا الى الحطام الموجود على الارض.
علق مشيرا الى الحطام:«استطيع فعل ذلك، وبتلك السهولة.»

الفصل الثاني

ازداد قلب جنيفر قسوة في داخلها. حدقت مذهولة الى الأرض على الفخارة المكسورة. اخبرته بصوت خافت:«هذه الفخارة مباعة.»
سحب لوسيان محفظته فورا، اخرج ورقة الخمسين دولارا ووضعها بجانبها على المنضدة ثم قال لها:«اتوقع ان يغطي هذا ثمنها،اعتقد ان هذا أكثر مما يمكن إن تجني ثمنها حتى في لندن.»
عاد مجددا يذكر أمر لندن! الا انها اعتبرت ذلك مجرد غموض. فقد كانت لا تزال شبه مذهولة بما اخبرها إياه منذ برهة. استردت قدرتها على النطق فسألته:«ماذا تعني، عندما قلت بأن عليّ ان اصفي أعمالي هنا وأرحل مع نهاية الشهر؟»
«تماما، كذلك اعتقد ان ذلك واضح بما يكفي. هذا المكان سيكون بعد فترة قصيرة متاحا للتأجير.»
«لكن لا يمكنك ان تعني ذلك!» احست بأن دمها يغلي باضطراب بينما امسكت بطرف المكتب، من المؤكد لو انه اطلق سراحها فستهوى كالركام الى الأرض:«لدي عقد إيجار لهذا المكان مستكمل جميع الشروط من الناحية القانونية...»
توقفت خطواتها، وشع ارتباكها بوميض من المعرفة المفاجئة.

ابتلعت جنيفر ريقها وسألته:«هل ما تحاول قوله لي ان عقد ايجار المحل غير قابل للتجديد؟»
نظرت العينان السوداوان مجدداً إليها:«هذا بالضبط ما اخبرك به. ان اتفاقية عقد الايجار الأخيرة تنتهي هذا الشهر، وعلي ان أنصحك بأنها ولسوء الحظ غير قابلة للتجديد.»
«لكن هذا سخيف! هذا لا يجوز! عمتك ميمي اخبرتني بأن عقد الايجار قابل للتجديد فوراً. لقد تحدثت معها منذ أقل من اسبوعين. كنا على وشك توقيع الاوراق الاسبوع المقبل.»
«هناك تغيير في الخطط.» دفع لوسيان قطع الفخار المحطمة جانباً، بمقدمة حذاءه، وأضاف:«لن يكون هناك أي توقيع للأوراق، لا الأسبوع ولا ابداً. عقد ايجارك للمتجر غير قابل للتجديد.»
«لكن عمتك ميمي قالت...» لم تستطع جنيفر تصديق ما قاله لها. لا يمكن ان يكون صحيحاً. هل هي عرضة لكابوس؟ «لقد قالت انه قابل للتجديد... ولن يكون هناك مشكلة.»
ابتسم ابتسامة شرسة:«حسناً، لقد تبين الآن ان هناك مشكلة. انت بحاجة للقيام بترتيبات بديلة.»
«لكن كيف استطيع فعل ذلك؟ في مثل هذا الانذار القصير الأجل؟» حدقت بقطع الفخار المحطمة على الأرض. عرفت فجأة كيف شعر ذلك الوغد تماماً:«ليس باستطاعتي مهما حدث

إيجاد محل جديد في مثل هذه المدة القصيرة.»
ابتسم برجفة بغيض:«إذاً عليك ان توقفي اعمالك. هذا يبدو خيارك الوحيد.»
شعرت برعشة تجتاحها عندما نظرت الى وجهه. لقد بدا انها كانت مخطئة بشأن لوسيان كل هذه السنين. فهو ليس لديه فكرة سيئة عنها فقط، بل هناك ما هو أعمق انه حتماً يكرهها.
رفعت نظرها باتجاهه، ضربات قلبها الخافقة أصبحت مسموعة في اذنيها فجأة كناقوس الخطر:«هذا ما قمت به أنت، أليس كذلك؟ لقد اقنعت عمتك. انت هو الشخص الوحيد الذي كلمها بخصوص ذلك.»
لم ينكر ذلك. بدا بوضوح أنه غير نادم:«لحسن الحظ، عمتي دائماً تهتم لنصيحتي.»
«إذاً عليّ ان اكلمها وأقنعها ألا تفعل ذلك.» اثناء تحديها له، شعرت بإحساس مفاجيء من التفاؤل في داخلها. هي والمرأة المسنة كانتا دائماً على علاقة جيدة. فبرغم كل شيء، كان لديها أمل، بأن هذه الكارثة يمكن ان تنقلب.
لكن، فوراً، واصل اخماده لأملها:«اخشى ألا يكون ذلك ممكناً. فعمتي ميمي مسافرة. ذهبت لزيارة شقيقتها في استراليا.»
«لا اصدقك! متى ذهبت الى استراليا؟»
نظر الى ساعته:«هذا الصباح، بعد ان تناولت فطورها مباشرة. يفترض ان تكون في مكان ما فوق آسيا الآن.»

حدقت جنيفر إليه بصمت. لم يكن يمزح. علّقت قائلة، وبهمس:«انت خططت لذلك، ايضا، ألم تفعل ذلك؟ انت خططت لأن تكون مسافرة، كي لا استطيع التحدث معها.»

لم ينكر ذلك. نظر اليها من دون ان يرمش له جفن:«عمتي ميمي لم تعد شابة. وقد رجوتها ان تتجنب أي شيء بغيض. وإضافة الى ذلك، لقد تحدثت بشأن زيارة اختها لسنوات، ويبدو ان اللحظة المناسبة قد حانت.»

شعرت جنيفر بالارهاق وهي تقف مقابل المكتب. هذا كابوس فعلا. لكنه لسوء الحظ من النوع الذي يحدث في اليقظة.

شعرت فجأة بأنها عاجزة. رفعت عينيها وسألته:«لمَ؟»

«الآن قد وصلنا الى المقطع المشوق.» بدا السؤال وكأنه اسعده. توقف لوسيان وترك عينيه لتجول عليها ببطء:«هذا هو الأمر الذي كنت قادما لأخبرك به.»

كان باستطاعتها رؤية ذلك في عينيه، اللتين شعتا ببريق عديم الشفقة. اغمضت عينيها قليلا على الألم الذي اصابهما وقاومت احساسا مفاجئا من الغثيان ثم قالت له بصوت خافت:«إذا، اخبرني.»

لم يجبها فورا بل على العكس، أخذ الوقت الكافي، ثم تابع مراقبتها بابتسامة خفيفة حول شفتيه، وكأنها كانت شيئا غير سار.

رفع حاجباً داكناً واحداً وقال لها:«لقد اكتشفت امرك.»

اعادت جنيفر النظر إليه بارتباك وسألته:«اكتشفت امري؟»

هز لوسيان رأسه:«هذا صحيح، أنكري ذلك. هذا بالفعل ليس أكثر مما توقعت انك تفعلينه.»

اختلست جنيفر النظر إليه:«ماذا؟ حتى أنني لا اعرف عما تتكلم!»

«اعتقد بأنك تعرفين.»

«إذا انت مخطىء، انا لا أعرف، اخبرني ماذا فعلت؟»

توقف لوسيان مرة ثانية. واستدار مبتعداً بعدم صبر:«اعتقد بأنني اكتفيت بذلك بالنسبة لهذه اللحظة. سأعود مرة ثانية وأتكلم معكما، انت وشريكك عندما يعود أحب ان يسمع كلايف ما سمعته، من المصدر الاصلي مباشرة بقية الموضوع.»

«لكنه لن يأتي قبل الغد وأنا اريد ان اعرف الآن.»

ما ان بدأ يتوجه ناحية الباب حتى سارت خلفه. وقالت:«لا يمكنك الذهاب من دون ان تخبرني بما يجري.»

قال:«أنا آسف.» كان يده ممسكة بقبضة الباب:«لقد اخبرتك بكل ما انت بحاجة لمعرفته الى ان آتي مجددا غداً في الوقت المحدد، والآن لمَ لا تمضين وقتا سعيدا؟» رمقها بنظرة حادة ثم تابع:«على

سبيل المثال بإمكانك البدء بحزم اغراضك.»
بعدها، رحل تاركاً جنيفر غاضبة واهنة عند المدخل، استقل سيارته الحمراء وانطلق اسفل الطريق مصدراً هديراً قوياً.
بعد ذهاب لوسيان وكأنه شخص آلي، اقفلت المتجر، ثم توجهت سيراً على الاقدام باتجاه دوفيكوت فلاتس حيث تعيش.
استمرت بتفكيرها، مراراً، هذا لن يحدث يمكن ان استيقظ في أي لحظة وأكتشف انه حلماً مزعجاً.
لكنها تعرف تماماً ان ذلك لم يكن حلماً. فلوسيان يهدف بالفعل الى ايقاف اعمالها.
اعدت إبريقاً من الشاي في شقتها الصغيرة في الطابق الأول وجلست الى طاولة المطبخ، شعرت بالتخدير في رأسها حتى اصابع قدميها. ربما ينبغي عليّ ان اتصل بكلايف. دارت هذه الفكرة في بالها. ربما يجب عليّ ان أخبره بأن يأتي الى المنزل مباشرة.
بما ان كلايف شريكها في العمل فهو برغم كل شيء الافضل لمعرفة ما الذي يجري. وإضافة الى ذلك، فقد قال لوسيان بأنه يريد حضور كلايف عند افصاحه عن سبب ارتكابه ذلك بحقهما. حالما يعود كلايف سيعرفان.
حدقت في الهاتف لبرهة، ولكنها لم تمسك السماعة وترفعها. أن ذلك يخصني انا ولوسيان. استمر هذا

الهاجس يجول في خاطرها. فاتصالها بكلايف هاتفياً من أجل عودته الملحة سيسبب له الارباك ولن يجدي أي نفع.
بعد احتسائها كوبين من الشاي شعرت بارتياح أكبر نسبياً وبدأت تتكيف مع الفكرة. بدأ يزداد تأكدها أكثر فأكثر بأن دوافع لوسيان كانت شخصية، وهي تتعلق بعض الشيء بكرهه العميق لها الذي لم تتوقعه قط من قبل، لدرجة أنها كلما تذكرته تسري قشعريرة في جسدها.
وبما أنه أمر شخصي فيجب ان يعالج معالجة شخصية. وجهاً لوجه، بينهما هما الاثنين، فلا داعي لحضور كلايف.
نهضت وخطت في المطبخ، لو أنها تستطيع مواجهته الآن. لو أنها تستطيع جعل هذا الأمر مكشوفاً، وأن تعرف ما الذي يجري بالضبط وتكون قادرة على التعامل معه. لقد عرفت أنها لن تجد دقيقة للراحة قبل ان تعرف.
إذاً ماذا تنتظر؟ ظهر هذا السؤال في بالها. لِمَ لا تذهب إليه الآن تواً وتحدثه بصراحة؟
سيغضب بالطبع، لتهورها وإقحام نفسها في منزله من دون دعوة. لكن لأي سبب تهتم؟ هزت كتفيها. فليغضب. لديها الحق في ان تعرف.
بعد نصف ساعة خرجت من منزلها بعدما استحمت وبدلت ملابسها، كانت تقود تحت ضوء الشفق

الصيفي الى منزل العمة ميمي الكبير، حيث ولدت احلى ذكريات طفولتها، لتواجه غضب لوسيان للأسوأ والأحسن.

الأسوأ الذي يمكن ان يحدث هو انه سيرميها خارجاً، الا أن جنيفر رفضت ان تقتنع في هذه الفكرة. وعوضاً عن ذلك، ركزت على الأفضل. وكما توهمت، فالاحتمال الضعيف، هو لو انه بنى قراره على كرهه الغير منطقي لها، فهي بإمكانها، جعله يبدل رأيه، بأي حال.

تمسكت بإحكام بذلك الأمل، دخلت من خلال البوابة المفتوحة بمواجهة الطريق المزروع بالاشجار والممتد الى مقدمة المنزل الكبير.

فتحت الباب مدبرة منزل العمة ميمي. اخبرتها جنيفر قائلة:«لقد حضرت لرؤية لوسيان. السيد كينغسلي، أنا جنيفر وودستوك، هل هو موجود؟»

«أجل. انه هنا.»

شعرت بخفقان قلبها، وقبل ان تجيب مدبرة المنزل، ظهر لوسيان في نهاية الرواق ويداه في جيبي سرواله. قالت المدبرة:«هل لديك موعد معه؟»

«لا.»

كانت جنيفر لا تزال واقفة امام الباب، كارهة الطريقة التي خفق بها قلبها عند رؤيته. ومندهشة ايضاً، فما دامت قد قامت بالمخاطرة فينبغي عليها ان تطأ فوق عتبة الباب بجرأة.

لكنها احجمت عن ذلك. فبإمكانه طردها من الرواق بنفس السهولة التي يمكنه طردها فيها من المدخل لو رغب، الفرق الوحيد ان الأول اكثر ارباكاً.

قالت بصوت معتدل:«كنت آمل ان لا تكون مشغولاً ليكون بمقدورك تمضية ساعة من وقتك معي.»

«هذه انت، الآن؟ هذا يدعو للتفاؤل. لما أرغب بإفساد امسيتي بتمضيتها معك؟»

هذا مؤلم. أكثر مما تتحمل، اخذت جنيفر نفساً هادئاً وقالت:«لن آخذ كل امسيتك، فقط حوالي ساعة، كما قلت.» ابتسمت ابتسامة رضى وتابعت:«في الحقيقة، ربما أقل.»

«لم تقنعيني بعد.» بقي واقفاً قبالتها:«استطيع التفكير بطرق سارة لتمضية هذه الساعة.»

وبينما هو واقف هناك يتأملها، قست العينان السوداوان وثارت، كانت اكيدة انه على وشك ارسالها لحزم اغراضها، لكن آنذاك حدث شيء غير متوقع.

«لوسيان، انا جاهزة للذهاب الآن.» ظهرت فتاة نحيلة الجسد، سوداء الشعر من خلال المدخل عند آخر الرواق.

تعرفت عليها جنيفر مباشرة. لقد كانت كارين ستوكس، والتي عرفتها جنيفر طوال حياتها.

لا يمكن لأي كان ان يظنها كارين من تصرفها. دنت من لوسيان، مررت ذراعها من خلال ذراعه ودخلت الى القاعة من دون ان تختلس النظر ناحيتها.

وعندما انذهلت جنيفر وقالت بتردد:«مرحباً، كارين.» نظرت إليها وكأنها ليست موجودة هناك واندفعت هي ولوسيان بخفة من خلفها واتجها الى الطريق حيث تتوقف سيارة صغيرة زرقاء، من المؤكد أنها سيارة كارين.

وقفت تراقب بجمود تبادل التحية قبل ان تصعد كارين الى سيارتها وتقود ببطء اسفل الطريق، فجأة بدأ قلب جنيفر يخفق باضطراب في داخلها، كانت منزعجة داخليا وكأن قلبها قد عصر بين فكي كماشة متوهجة الحرارة.

انا لست سوى حمقاء، قالت ذلك لنفسها بقسوة. برغم كل ذلك، لقد باعت بعض اعمالها مؤخرا، لما اغضب مما يجري بيني وبين لوسيان!

غضت نظرها عندما لوّح لوسيان لكارين. حتى اختفت عن ناظريها! حاولت ان تهدىء من تسارع خفقات قلبها عندما اتجه لوسيان مجددا باتجاهها، مسرعاً بخطوات قاسية ليعطيها لمحة تنم عن عدم الصداقة على الاطلاق.

سألها:«أما زلت هنا؟»

«هذا واضح.» قابلت جنيفر نظرته بجمود، بعدئذ ضغطت على نفسها لتتذكر السبب الذي أتت من أجله، لطفت من تعابير وجهها قائلة:«كل ما أطلبه هو ساعة.»

لم يجبها، بل مرّ من خلفها الى الرواق... وقد بقيت

مدبرة المنزل تحوم حول المكان طوال الوقت!... كانت على وشك اغلاق الباب خلفه عندما استدار فجأة وقال:«ماذا تنتظرين؟ من الافضل ان تدخلي.»

بتنهيدة اطمئنان اسرعت خلف مدبرة المنزل. لا زال هناك مسافة طويلة قبل وصولها الى هدفها، لكن على الأقل فهي الآن تعبر الباب.

تبعته، مسرعة لتدركه... عبر الرواق ومن خلال المدخل المفتوح للغرفة التي ظهرت منها كارين منذ لحظات، للحظة خلت نسيت جنيفر أي شيء آخر. وجودها داخل هذا المنزل مرة ثانية، الذي عرفته جيدا يوما. أعاد إليها فيضا غزيرا من الذكريات. أطبقت على حنجرتها.

«خذي راحتك.»

أشار لها الى أحد المقاعد. رمقها بنظرة جانبية وهو يجلس على كرسي في مواجهتها:«لكنني من الناحية الثانية نادرا ما كنت بحاجة لمناقشة مثل هذه الشكليات معك. انت تعرفين الطريق في هذا المكان تماما كما اعرفه انا.»

«لقد عرفته ذات مرة، لكنه منذ وقت طويل.» جلست جنيفر على حافة المقعد. فقد كان ذلك منذ سبع سنوات حسبتها قد ولت بسرعة لكنها شعرت وبطريقة مضحكة وكأنها البارحة.

«لا اظن بأنها تغيرت كثيرا.»

«قليلا ما تغيرت.»

جالت بنظرها في انحاء الغرفة الضخمة، ذات الاثاث القديم الطراز والرسومات المعلقة على الجدران، وقد لاحظت بأنها ما زالت أقل او أكثر مما كانت عليه طوال تلك السنين الماضية عندما كانت تعرفها جيداً.

في تلك الأيام، كانت والدتها تطهو للعمة ميمي، العمة الأرملة الأكثر حباً للوسيان وجنيفر، من وقت لآخر، كانت تحصل على امتياز مرافقتها. كان يبدو هذا المنزل بالنسبة إليها وكأنه مكاناً آمناً. وهي ما زالت تشعر بجماله حتى الآن.

«لطالما كانت عمتي ميمي تقليدية قليلاً، تحب ان تبقي الاشياء كما هي دائماً.»

وصل لوسيان ناحية طاولة القهوة الخشبية وهو يتكلم، رفع كوب العصير وجرع بعض الشراب منه ووضعها جانباً مرة ثانية. عندها لاحظت جنيفر بقايا عشاء خفيف... صحون وسكاكين، فناجين قهوة... وأكواب موضوعة فوق صينية على إحدى زوايا الطاولة.

لقد كان هناك زوجاً من كل شيء، لاحظت بانزعاج... إن هذا شبيها الى حد انهما تشاركا بعشاء خفيف.

إذا، لِمَ ينبغي ان أهتم؟ سألت جنيفر نفسها ذلك بحدة. حضرت مدبرة المنزل وأخذت الصينية. وبعدما غادرت الغرفة، جلس مجدداً على كرسيه ونظر إليها.

«لِمَ لم تبدأي بعد؟ لقد مضى عدة دقائق من الساعة التي طلبتها. وأنا أكيد بأنك لا ترغبين في إضاعة المزيد منها.»

آه، اجل. بحثت جنيفر مرة ثانية بين أفكارها عن السبب الذي أتت من أجله. وتذكرت أنها نظرت إليه بمقدار كبير من الكراهية.

قالت له:«أرى انك تسجل الوقت لي.»

وبنوع من الاستجابة اختلس لوسيان النظر الى ساعته:«بقي لديك أقل من خمس وخمسين دقيقة.»

اعتدلت جنيفر في مقعدها. فمن الافضل إن تباشر بالموضوع. بما انه قد بدا أنه يخطط فعلاً لطردها مباشرة بعد إنتهاء الساعة، ليس هناك أي هدف من الجلوس هنا وإضاعة الوقت في جدال غير مجدي.

نظرت في عينيه وقالت له:«اريد ان اعرف لِمَ تريدني ان أصفي عملي في المتجر.»

مدّ يده مرة ثانية الى كوبه وجرع جرعة أخرى:«اعتقد بأنني اخبرتك بأننا سنناقش ذلك غداً، بوجود صديقك.»

«أعرف لكنني أرغب بمناقشته الآن. لا أظن بأن من الضروري حضور كلايف.»

رفع حاجباً واحداً رافضاً بطريقة ساخرة:«هل يعرف كلايف هذا الموقف الشهم بأنك تحترمينه كونه شريكك في العمل؟»

كان مغزى تصرفها يفسر كذلك. عضت جنيفر على

شفتها وعقدت حاجبيها:«ليس لدي موقف شهم، كما ادعيت، انا لا أخفي شيئاً عن كلايف. بل ما يبدو ان الأمر مختلف تقريباً، فمن الواضح انني انا المعنية وليس كلايف، لديك بعض الشكاوى ضدي.»

قال:«يمكن ان تكوني على حق، ولكن مهما تكن شكواي، كما ادعيت فهي بين شريكك وبيني في العمل، فكلايف معني بالأمر كما أنت بالضبط. لذلك اشترطت حضوره.»

بدا مطمئناً كثيراً، مسيطراً بكل ما في الكلمة من معنى، ممسكاً بكوب العصير بخفة وبيد برونزية اللون، أما هي فقد كانت جالسة على حافة المقعد، وكأنها ما زالت تلك الطفلة الخائفة والحساسة رغم كل تلك السنين الماضية.

«لمَ انت مهتم الى هذا الحد بشأن كلاي؟» سؤالها هذا أشعرها بالارتياح فوراً لكونها أصبحت في موقف هجوم وأضافت:«ليس من عاداتك الاهتمام هكذا بالآخرين.»

«حسناً، لا تقلقي، هذا لا يهم، سوف ترين.» ابتسم ليظهر لها ان موقفها الدفاعي لم يزعجه:«بكل بساطة أفضل حضور الشريكين كي أجنب نفسي مشكلة تكرار ما قلت.»

«هذا غير ضروري، فأنا قادرة على اعلام كلايف بكل ما تقول تماماً مهما يكن. فلا داعي لأن تعيد ما ستقوله.»

«وهل انت قادرة على الدفاع عن كلايف؟ ألا تعتقدين بأنه يفضل ان يفعل ذلك بنفسه؟»

«أجل، اعتقد أن باستطاعتي الدفاع عن كلايف.» نظرت إليه بعدم صبر. كل ذلك غير ضروري. بالطبع فهي في ظروف اخرى أحبت حضور كلايف، لكنها تعرف هي ولوسيان ان هذا الشيء يخصهما. ليس هناك أي سبب لحضور كلايف.

اضافت:«لدينا شركة سرية جداً. كلانا مطّلع على رأي الآخر. نستطيع ان نجيب بالنيابة عن بعضنا دائماً.»

ابتسم لوسيان ابتسامة وقحة وقال:«كم هو حميم هذا، انه يشبه العلاقة الخيالية. أقدم لك تهنئتي.»

شعرت بالاسترخاء قليلاً. علاقة خيالية ليست تماماً ما قصده لوسيان هي وكلايف. لكنها كانت محظوظة لأنها حظيت به. والباقي ليس من اختصاص لوسيان.

أومأت بالموافقة ثم قالت:«نعم، انني محظوظة.»

نظر إليها بسرور، ثم جلس واضعاً ساقاً فوق ساق. كان ينتعل حذاء لامعاً بفارق بسيط عن لون سرواله وسألها:«أين قابلته؟ ألم يكن ذلك خلال دراستك في جامعة الفنون في لندن؟»

«نعم.» تعجبت جنيفر وأبعدت نظرها بسرعة وهي توبخ نفسها على ذلك. هل نسيت حقاً الأيام التي استجابت فيها لكلام لوسيان؟

«إذاً، لقد عرفته منذ مدة.»

«هذا يبدو كذلك.»
«خمس او ست سنوات؟»
«اعتقد انه بإمكانك ان تضيف قليلاً.»
اومأ لوسيان ونظر في عينيها:«أوه، أجل، بإمكاني ان اضيف. ليس عندي مشكلة في جمع اثنين مع اثنين.» ابتسم ابتسامة غامضة، جعلتها تحتار إلام تعنيه هذه الابتسامة. ثم تابع:«لكن بالعودة الى موضوع كلايف. ينبغي على الفرد ان يعرف أحدهم جيدا الى حد ما، في فترة تقارب خمس او ست سنوات.»
«اعتقد بأن الفرد يستطيع.»
ذكرته بنظرة فاحصة من عينيها بأنهما يعرفان بعضهما منذ مدة أطول، وكنتيجة لذلك فهي بالتأكيد عرفته جيدا. وما كان أكثر من ذلك أنه لا يتطابق مع الذي عرفته.
«هكذا بالضبط.» ابتسم لوسيان. لقد ادرك تماماً ما كانت تقول. نظر إليها وهو يشرب جرعة أخرى من العصير:«إذا، كما كنت اقول. هل ينبغي انك تعرفين كلايف جيداً حتى الآن؟»
«أجل، جيدا الى حد ما.» كان بإمكانها قول ذلك، لأنهما يعرفان بعضهما معرفة شخصية منذ ست سنوات، خلال سنوات الدراسة كانا قريبين بشكل واضح، لكن بعدها كانت هناك سنتان كاملتان فقدا الاتصال بينهما تماما. لكن لِمَ تدخل في مثل هذه

التفاصيل مع لوسيان؟ فهذه التفاصيل لا تخصه ولو بشكل ضئيل.
«إذا، متى سيكون الزفاف؟»
تعجبت جنيفر عند سماعها هذا السؤال:«من ذكر موضوع الزفاف؟»
جرع لوسيان ما تبقى من العصير في كوبه ثم وضعه على الطاولة وقال:«افتراض طبيعي. عندما يكون شخصان قريبين جدا ويعملان سويا، فإن الزواج يبدو حدثا طبيعيا.»
هذا تماما يقارب ما قاله كلايف، وربما يكون صحيحا. ربما يحدث، لكن ذلك كما البقية ليس من شأن لوسيان.
ادارت جنيفر وجهها باتجاهه وقالت:«كلامك يفاجئني.»
هز لوسيان رأسه باستياء:«لقد حكمت جيداً على ذلك.»
قالت له:«بلا شك، فلسفتك باقية لم تتغير.»
«هناك نساء كثيرات بأقل وقت ممكن؟» ابتسم ثم سألها:«هل تقترحين رأيا أفضل؟»
كان عديم الخجل والمسؤولية. نظرت الى وجهه، الى العينين السوداوين اللتين اعادتا النظر إليها وهما تشعان بالمرح. ليس هناك أي فرق بما أنه يحصل على ذلك بهذه السهولة، ينبغي عليه ان يكون قادرا على التصرف بشكل أفضل.

فكرت مجدداً بكارين وتأثرها من وجودها في منزله منذ لحظة وشرعت تحرر نفسها أكثر باتهامها له:«هل تعرف كارين بشأن فلسفتك؟»

«كارين؟»

«أجل. كارين.» رفعت حاجبها عندما نظر إليها متسائلا:«لا تقل لي بأنك قد نسيتها للتو؟ لقد قبلتها وودعتها منذ دقيقتين.»

«آه... تلك كارين!»

«كم هو عددهن؟»

«كم واحدة اسمها كارين؟ اعتقد القليل. على أي حال فهو اسم شائع. ربما ينبغي ان تحذريها من الخطر الرهيب المحيط بها.»

كانت هناك نظرة مسليةٍ ومزعجة في عينيه جذبت انتباه جنيفر لا شعورياً. كانت نظرة رأتها الف مرة. شبيهة بنظراته الباقية. فكرت بتدفق مفاجيء من الانفعال، أنا اعرفه جيداً، انا اعرفه، لكنه لا يعرفني.

طردت هذه المشاعر من داخلها وضغطت على افكارها للعودة الى الحاضر.

أخبرته قائلة:«انا لا أرغب بالتدخل في حياتك الشخصية. وإضافة الى ذلك ليس هذا ما جئت لأجله... كي اتحدث عن مغامراتك. ما أريده هو ان تخبرني لِمَ تريد تصفية اعمالي. اعتقد بأنك مدين لي بالصراحة.»

«سأكون صريحاً جداً بعد برهة وجيزة.» ابتسم قليلاً مما جعل جنيفر تشعر بأنها ممتنة له كثيراً. كانت ابتسامته تجذبها أكثر من أي شيء، كان عبوسه أسهل للتعامل معه. تابع قائلا:«لقد اخبرتك سابقاً، بأنني سأبوح بأسبابي عندما تحضرين انت وشريكك.»

«لكن هذا غير ضروري.»

أصبح تعبير عينيه فجأة بارداً بدا وكأنه لن يغيره شيئاً عندما اعترضت جنيفر:«لِمَ يجب ان تطيل الصراع؟ لدي الحق في ان اعرف، بحضور او بغياب كلايف، بل اكثر من ذلك، مهمتك هي اخباري!»

انفجر لوسيان فجأة بالغضب:«اتتجرأين بالتحدث عن الحقوق؟ هل تهتمين بشأن الحقوق؟» بدت كل عضلة من عضلات جسده متوترة ومرتعشة. «أود ان انصحك بألا تكوني متهورة وتتحدثين معي عن الحقوق... ولا ان تحاولي اخباري بأي شيء عن مهماتي.»

اندهشت جنيفر لتغيره المفاجيء. لقد رأته غاضباً من قبل، ولكن ليس بهذا الشكل ابداً. انها غاضبة هي ايضا ولديها كل الحق في ان تكون كذلك. كان يتوعدها بهدوء بتحطيمها، دون ان يعلمها عن السبب.

قالت له:«ولِمَ لا يجب ان أقول لك، فأنت تبدو بحاجة لمن يخبرك، فأنت لا تستطيع التعامل مع

الأفراد بالطريقة التي تعاملني وتبتعد من دون أي تفاصيل.»

«انا لم ابتعد، سوف تحصلين على التفاصيل عندما اكون مستعداً لاخبارك.»

«حسناً، هذا ليس جيداً الى درجة كافية، اريد ان اعرف السبب الآن، اسألك الآن، ولن أرحل قبل ان اعرف.»

بدا في عينيه بريقاً من القسوة المألوفة:«أوه، لن ترحلي؟ أخشى ان تكوني مخطئة بشأن ذلك. سوف ترحلين في هذه الدقيقة فوراً.»

نهض الى جانبها ثم كرر:«الآن فوراً، ومن دواعي سروري ان أرافقك.»

حدقت فيه، بتحد:«لم أحصل حتى الآن على الساعة التي طلبتها. فقد قلت بأنك ستعطيني ساعة من وقتك.»

«في هذه الحال، عليّ ان اعتذر. لقد نسيت كم هو مرير قضاء ساعة من الوقت معك. وكأنها، وقت قصير حصلنا عليه وهو أكثر من كاف والآن...»

أومأ باتجاه الباب:«سأكون شاكراً لو رحلت.»

لم تتزحزح جنيفر، بل حدقت إليه بجرأة وقالت:«أراهن بأن العمة ميمي ليست على علم بما تهدف إليه. فهي لن تقبل ابداً بمثل هذا التصرف. ماذا قلت لها؟ أي كذبة قلتها لها جعلتها تنقلب ضدي هكذا؟»

«الحقيقة فقط. كان ذلك كافياً تماماً لا داعي لأي

كذب.» وبينما هو يتكلم، وبحركة واحدة انهضها عن المقعد.

ابتلعت جنيفر ريقها. فهي لم تعامل بهذه القسوة طوال حياتها! بعدئذ، وقبل ان تعود الى رشدها، كان يحثها على السير باتجاه الممر، ثم تقدم أمامها وفتح الباب الخارجي.

«سأخبرك هذا الشيء العظيم قبل ان ترحلي.» ابقاها للحظة حيث كانت واقفة:«بما انك متهورة الى هذا الحد لمعرفة اسبابي... ها هي. انا على وشك انتزاع المتجر منك لأنك لصة حقيرة.» هزها قليلاً وتابع:«الا ان الأيام التي سرقتِ فيها قد انتهت. والآن ستدفعين ثمن جرائمك غالياً.»

بالكاد سمعت جنيفر ذلك الجزء الأخير حتى كانت تسرع مباشرة الى شاحنتها وهي تشعر بالغثيان، إلا أنها سمعت صفقة الباب الخارجي عندما اغلق خلفها بعنف.

www.rewity.com

الفصل الثالث

اوه، يا للعار. شعرت جنيفر بالموت ألف مرة تلك الليلة ما ان راجعت في خيالها الدقائق الأخيرة التي واجهت لوسيان فيها. كان كل ذلك شبيها بآخر مرة منذ سنين خلت. ولكن هذه المرة كانت أكثر قساوة، أكثر صراحة، أكثر تحطيما لنفسها. لقد لمح سابقا عما قاله بصوت عال الليلة.

لقد صدق بأنها كانت لصة ولهذا السبب احتقرها. ولهذا السبب ارادها بعيدا عن متجر عمته ميمي.

لكنها ليست سارقة. ولم تكن ابدا. مع أنها، لم تحاول ابدا اخباره الحقيقة.

لقد حدثت الكارثة كلها عندما كانت في الحادية عشرة من العمر، قبل ان تعرف لوسيان جيدا. ولهذا كرهت ان تسلم بذلك الآن... حتى أنها انكرت ذلك لنفسها مرارا!

بالطبع قد حصل ذلك، كيف بإمكانها ان تفعل غير ذلك؟ من المرة الأولى التي وقعت عيناها عليه في عمر السادسة البريء بدا لها مميزا.

«هذا ابن أخي.» تذكرت ما أخبرتها اياه العمة ميمي ذلك اليوم عندما ذهبت الى المنزل الكبير مع والدتها. كان ذلك خلال عطلة الدراسة فقد كانت والدتها تمانع في تركها وحيدة في المنزل بينما هي تعمل في

الخارج. وعلى أي حال، فالعمة ميمي... أو السيدة مور، كما تدعوها والدتها... أصرت على ان ابنة طاهيتها مرحب بها دائما.

«لوسيان، انتبه لجنيفر. العبا كرة المضرب او أي شيء آخر.»

كانت العمة ميمي تعطي التعليمات، بعد ان تضع المقدمات ثم تدعهما. «حاولا ان تستمتعا بوقتكما.» بعدان تستدير مبتعدة، كانت جنيفر تمضي وقتا رائعا. لكن لوسيان، حسبما توقعت، كان سيكون أسعد من دون لقائها. فرغم كل شيء، الاولاد في عمر الثالثة عشرة لا يمرحون تماما برفقة فتيات أصغر منهم بسبع سنوات.

الا أنه قيل عن لوسيان بأنه غير قادر على ان يكون الطف في معاملتها. «هل تأتين غالبا الى هنا؟» سألها بأدب، وهو يدلها الى طاولة لعبة كرة الطاولة خارج الفناء.

«فقط في أيام العطلة عندما لا ترغب أمي بتركي وحيدة، لكنني أحب المكان هنا.»

«أنا ايضا.» على الأقل قد اتفقا على تلك النقطة! في الحقيقة، انا اعيش في لندن، لكن غالبا ما آتي الى هنا عندما يسافر والداي الى الخارج.»

علقت جنيفر بفضول:«لمَ لا يأخذانك معهما؟» فهي لا تستطيع تصور والديها يسافران ويتركانها هنا!

«لأنني لا أريد الذهاب معهما.» أجاب بسرعة وحزم،

مبدداً اضطراب اللوعة الذي مس عينيه فوراً، أمسكت جنيفر باللمحة الأولى لشخصيته والتي كانت استقلال الشخصية، وهي كانت النقطة الرئيسية في تحديد شخصيته. أحست بالقوة التي تفيض منه وشعرت بها تجتذبها.

سألها وهما يعدّان للبدء بلعبتهما الأولى:«إذاً، اين تعيشين؟ هل تعيشين في القرية؟»

«نعيش في أحد الأكواخ اسفل مكتب البريد.» أضافت بفخر:«كوخنا هو ذو الباب الأحمر.»

ابتسم لوسيان قائلا:«لدي صديق يعيش في أحد هذه الأكواخ، مع انني لا اعتقد بأن الباب الخارجي لونه أحمر.» ثم أخذ عملة معدنية من جيبه وقال لها:«هل نطرح العملة في الهواء ونرى على أي وجه تستقر؟»

لعبا مرتين وقد تركها تربح في الاثنين. كيف تقدر ان تربح بطريقة أخرى؟ كانت يائسة تماما! ومع ذلك فقد شعرت بأنه لطيف عندما إفترقا بعدئذ. لقد قررت ان لوسيان هو فتى رائع فعلا. كان ذلك بداية تحطمها.

ازدادت معاملته اللطيفة لها، فقد استمر بملاطفتها كما في البداية. في كل مرة كانا يلتقيان كان يسألها كيف حالها ويجعلها تبتسم بإخبارها نكتة او قصة ما. كان هناك أكثر من طاولتين للألعاب غير طاولة التنس! لم يتردد عن مرافقتها الا أنها لم تكن ابدا فردا في مجموعته. بل كانت دائما على الخطوط الجانبية تراقب.

ليس ذلك ما مانعته جنيفر. عندما يحضر رفاق لوسيان... مجموعة من الصبيان المفعمين بالضجيج في عمر الثالثة عشرة... تجلس بهدوء وتقرأ كتابا، مفضلة إحدى كتب العمة ميمي الفنية، وتستمتع من بعيد بتحركهم النشيط. والأهم أنها كانت تستمتع بمراقبة لوسيان بالطبع.

لكن الأمور بدأت تتغير عندما بدأت تظهر الصديقات.

احيانا كن يأتين بمفردهن، وأحياناً اخرى تأتي مجموعة منهن، الجميع يضحكن من دون مبرر، يدرن حوله من مكان لآخر كالحمقاوات. وهو بالطبع يلاحظ اعجابهن، وبالكاد يبدو ملاحظا جنيفر. عندها بدأت تشعر بنفسها كالغريبة.

جلست بهدوء في الركن، متظاهرة بأنها تلون في كتاب الرسم، وتراقب لوسيان طوال الوقت من تحت اهدابها وهو يسرق قلب آخر مراهقة معجبة. لأنه سرق قلوبهن جميعا. لقد عرفت ذلك. فنظرة واحدة الى عيونهن كافية تماما لتجعلها تعرف.

والجزء الأهم، ان هؤلاء الفتيات يتجاهلنها. فبالنسبة لهن هي مجرد طفلة. إلا واحدة منهن، تدعى لوسندا زرقاء العينين، رحلت منذ مدة عن القرية... قد أظهرت كرها مطلقا لجنيفر، ودائما تنظر إليها نظرات ملؤها البغض والكراهية.

في أحد الأيام تحدثت لوسندا سائلة:

«إذاً من هي هذه الفأرة التي في الزاوية؟»
تذكر جنيفر بوضوح هذه الكلمات الأولى الودية.
كان لوسيان في ذلك الوقت خارج الغرفة فتقدمت لوسندا الى النافذة، حيث كانت جنيفر جالسة تحمل كتاب الصورة والأفلام.
توقفت جنيفر عن الرسم، واختلست النظر الى الفتاة الأخرى ذات العينين الصينيتين الزرقاء وقالت بهدوء:«أنا لست فأرة، انا جنيفر.»
قالت لوسندا بسخرية:«جنيفر؟ ما هذا الاسم الشائع. انت أحدى فتيات القرية، ألست كذلك؟ أمك خادمة.»
شعرت جنيفر بالازدراء. من تعتقد لوسندا نفسها تكون؟ أجابت وعيناها الخضراوان تشعان:«أجل، انا اعيش في القرية، لكن أمي ليست خادمةانها طاهية. تقول العمة ميمي بأنها افضل طاهية في انكلترا كلها.»
انقضت لوسندا عليها، غاضبة بسبب هذه الألفة:«العمة ميمي؟ السيدة مور ليست عمتك! هل تعرف بأنك تنادينها هكذا؟»
«بالطبع تعرف. فأنا دائما ادعوها العمة ميمي.»
«حسنا، اعتقد بأنك وقحة، فتاة مثلك لا تمت الى هنا بصلة!» القت العينان الصينيتان الزرقاوان نظرة شاملة عليها باحتقار:«لكنني اعتقد انها تحاول ان تكون لطيفة فقط.»
سبّب ذلك لها الأذى المفاجيء العميق. فجنيفر كانت

تثق دائماً ان العمة ميمي تحبها ولهذا السبب كانت دائما لطيفة معها.
بقيت للحظة غير قادرة على الإجابة. وقد كانت تلك اللحظة التي ظهر فيها لوسيان من جديد.
استدارت لوسندا لتبتسم له:«كنت احادث جنيفر. كانت تريني بعض رسوماتها الجميلة.»
تقدم ووقف بجانبهما:«أجل، جنيفر رسامة. لطالما اخبرتها بأن لديها موهبة خاصة.» انحنى لينظر الى أخر صورة نصف منتهية وأضاف:«اتمنى ان يكون لدي موهبة كهذه.»
تذكرت جنيفر جلوسها هناك، شاعرة بعدم الراحة، تساءلت فجأة ما إذا كانت لوسندا على حق... ان العمة ميمي تعنى بها من باب الأدب فقط... ربما كان الأمر كذلك بالنسبة للوسيان؟
ربما وبداعي الأدب فقط، كان يتظاهر دائماً بأنه يحبها. هذه الفكرة جعلتها تشعر بقشعريرة في نفسها.
وبينما هي جالسة هناك في يأس متزايد، سمعت لوسندا تقهقه:«لديك مواهب أخرى يا لوسيان.» ثم قرصت وجنته مازحة:«وأنا سأشهد بذلك متى أحببت.»
وكرد عليها، انحنى لوسيان وطبع قبلة سريعة على وجنة لوسندا، مما اشعر جنيفر بالخجل. ثم أجابها:«إنت موهوبة بحد ذاتك.»
غادرا معاً وذراعهما ملتفة حول بعضهما، تاركانها

تشعر بالعذاب والذل بكل ما في الكلمة من معنى.
ولأول مرة طوال تلك السنين التي كانت تحضر فيها الى منزل العمة ميمي شعرت فجأة ان من الخطأ ذهابها الى هناك، لأن هذا لا يجلب لها سوى الشقاء، وحضور غير مرحب به. وعاهدت نفسها بقلب مجروح على عدم العودة الى هناك ابداً.
بالطبع، قد نكثت بوعدها، مع أنها غالباً ما اعتقدت بأنه من الافضل ألا تفعل، وإلا لما كان حصل ذلك المشهد المأساوي الأخير.
كانت كتب العمة ميمي الفنية هي التي اغوتها الى حد ما بالعودة. منذ سنين وحتى الآن كانت تسافر من خلالها، متأملة في صفحاتها الرائعة، مرتوية من الجمال الذي وجدته هناك. فهي لم ترها كلها حتى الآن. لقد احتفظت لها العمة ميمي ببعض الكتب القيمة الى ان تكبر. كان ذلك بعد اتمامها سن الحادية عشر مباشرة عندما تلقت والدتها رسالة من العمة ميمي تقول فيها بأنها تسمح لجنيفر الآن برؤية الكتب الخاصة. كيف تستطيع مقاومة مثل هذا العرض في حين أنها انتظرته منذ سنين؟
وهكذا بعد ستة اشهر من تلك المناوشة بينها وبين لوسندا، وجدت جنيفر نفسها زائرة مرة ثانية في منزل آل مور. ومن يمكن ان يكون هناك سوى لوسيان ولوسندا؟
«أوه، هذا رائع، انا حقاً احب ذلك.»

فجأة اندفعت لوسندا بسرعة داخلة الى قاعة الاستقبال حيث كانت جنيفر جالسة وخلفها لوسيان. اسرعت ناحية المرآة ذات الإطار الذهبي وأطلقت صرخة تعجب اخرى:«أوه، لوسيان، انها متقنة بعناية، لا يمكنني تصور ذلك بأي حال.»
«بالطبع، يمكنك.» تقدم ووقف خلف لوسندا امام المرآة. ثم مد يده ولمس عقد العقيق الاحمر حول عنقها:«يبدو خيالياً حول عنقك. أعرف بأنه كذلك.»
وهو بالفعل يبدو خيالياً، كان على جنيفر الاعتراف، عندما اختلست النظر من فوق كتابها فجأة وقلبها يخفق. مع ذلك لم تكن رؤية العقد هي ما جعل قلبها ينبض بسرعة، بل كانت الرؤية المفاجئة وغير المتوقعة للوسيان.
عرفت فجأة ان ما اغراها للعودة الى بيت العمة ميمي لم يكن فقط الكتب الفنية لقد ارادت في صميمها وبيأس رؤية لوسيان مرة ثانية.
لم يلحظها في البدء، لكنه الآن لمحها فوجّه لوسندا باتجاهها ثم قال لها:«ماذا تعتقدين؟ فأنت فنانة. هل هذا علم الفن، أو ماذا؟»
بالطبع، كان يسخر منها. تألقت العينان السوداوان بالمرح. شعرت جنيفر فجأة بالغضب.
قالت وهي تنظر إليه:«اتقصد العقد؟ أجل، إنه جميل للغاية.»
قالت ذلك بصوت خجول بعض الشيء متمنية العقد

لنفسها. فالعقد كان رائعاً، وكذلك من ترتدي، رأت حاجباً أسود يرفع. فقد لاحظ لوسيان ردة فعلها.
اخبرتها لوسندا، مطلقة ابتسامة باتجاه لوسيان:«سأرتديه الليلة على العشاء، لدينا مناسبة خاصة بمناسبة ذكرى مولده الثامن عشر.»
«عيد سعيد.» مرة ثانية قالت ذلك بحسد. فكل ما كان باستطاعة جنيفر التفكير فيه هو ان ذلك العقد العقيقي الرائع هو هدية من لوسيان بالتأكيد.
هدية خاصة جداً كهذه أهي تعبير عن الحب المؤكد؟
في تلك اللحظة، حسدت جنيفر لوسندا من صميم قلبها بعنف ومرارة.
كان عليها اخفاء مشاعرها هذه بأن اعادت نظرها الى الكتب مجدداً. عرفت ان ذلك يعد غباوة، لأنه يجعل مظهرها اسوأ لكنها الطريقة الوحيدة التي يستطيع فيها قلبها البالغ من العمر احدى عشر عاماً السيطرة على المشاعر التي انصبت في داخله.
«سنتركك لقراءة كتبك.»
سمعتهما يذهبان، كرهت السمة الباردة التي قدرت على اكتشافها في صوت لوسيان. بعدئذ أخذ جرس الهاتف يرن في غرفة عبر القاعة. سمعت لوسيان يقول:«ذلك لي، سأجيب انا على المخابرة.»
لم تنظر جنيفر عندما سمعت صوت اقدام متجهة خارج القاعة. لم تكن متأكدة ان لوسندا قد خرجت من الغرفة ايضاً. بقيت تحدق في كتابها لدقيقة او

اثنتين. الرسومات لم تعد واضحة، اضطرب قلبها، لا تعرف لما شعرت بأن عليها الرحيل وعدم العودة ابداً الى ذلك المنزل.
جعلها شيء ما تختلس النظر. فقد شعرت وكأن عيوناً تراقبها، وبتأكيد أكبر رأت لوسندا تقف عند المدخل وتنظر باتجاهها. ثم وبابتسامة صغيرة لئيمة، وهي تلمس العقد حول عنقها، اختفت خارج القاعة.
انتظرت جنيفر خمس دقائق ثم جمعت كتبها ووضعتها بعناية في مكانها على رفوف الكتب. فكرت فجأة بأن عليها الهرب.
خطت باتجاه القاعة. العمة ميمي كانت خارجاً، فاستبقتها لتعرف سبب رحيلها المبكر. لكن ما ان استدارت وبدأت تتوجه باتجاه .بب الأمامي، شيئاً ما على الطاولة الجانبية ذات السطح الرخامي اجتذب نظرها.
توقف جنيفر في طريقها. لقد كان العقد العقيقي. خفق قلبها من مكانه عندما انحنت لتراه. من الذي وضعه هنا؟
كان تصرفاً حكيماً أكثر لو انها تابعت ذهابها وتظاهرت بأنها لم تره ابداً. لكنها لم تستطع، بل عوضاً عن ذلك، اقتربت من الطاولة الصغيرة وأمسكته.
اعتقدت أنه من الافضل ان تجد لوسندا فهي لا تستطيع ترك العقد هنا. أحدهم سيأخذه لكن ما ان

حملت هذا الشيء الجميل من يدها، هذه الهدية التي اختارها لوسيان حتى وجدت نفسها تقع فجأة في رغبة ساحقة لرؤية كيف سيكون العقد حول عنقها.
لم تفكر بما تفعل او كيف يمكن ان تبدو، عبرت الى المرحاض المجاور ودفعت الباب. ثم وقفت أمام المرآة ووضعت العقد حول عنقها بأنامل مرتعشة.
«إذا قد أعجبك، أليس كذلك؟»
شعرت جنيفر بالغثيان وتوردت خدّاها، لاكتشافها وجود لوسندا تقف عند الباب، وتراقبها.
امتلأت العينان الصينيتان الزرقاوان بالخبث:«مضحك، لقد اعتقدت بأن شيئاً كهذا ممكن حدوثه.»
شعرت بخوف وارتباك تامين، لا شيء اكثر شؤماً، وقد أثر ذلك في نفسها. قبضت بأحكام على عنقها محاولة تخبئة العقد تحت قميصها ثم قالت متمتمة مما جعل الوضع اكثر سوءاً:«انا... انا اعتقدت انك في قاعة الاستقبال الأخرى.»
«حسناً، لم أكن هناك، هل كنت؟ واعتقد بأن ذلك صحيح للغاية. يبدو وكأنني قد أمسكت بك متلبسة بجريمة؟»
فغرت جنيفر فمها ثم قالت:«متلبسة بجريمة؟»
ثم ظهر لوسيان وسأل:«ما الذي يجري هنا؟» وقف خلف لوسندا ووضع احد يديه على كتفها.
«إنه لها!» كان هناك دموعاً من الإهانة في صوت لوسندا وهي تومىء بأصبع الاتهام مع جنيفر:«قد

اخذت العقد. انظر، انها تحاول اخفاءه تحت قميصها.»
عم الصمت، كما قبل لحظة من تنفيذ حكم الاعدام، كان لوسيان واقفاً هناك وقد ضاقت عيناه السوداوان وهو يراقبها للحظة ثم قال بصوت هادىء جعل الرجفة تسري في جسمها:«هل هذا صحيح، يا جنيفر؟ هل حصل ان أخذت العقد؟»
لم تقو على النطق هزت رأسها بصمت. لم يكن الأمر كما بدا فقد أرادت ان تقول ذلك، لكن ذلك الذي بدا في عيني لوسيان اخرسها.
صرخت لوسندا فجأة:«كاذبة، لقد اخذته.» ووثبت باتجاه جنيفر، منتزعة ياقة قميصها لتظهر له العقد العقيقي.
لن تنسى جنيفر ابداً ردة فعل لوسيان الذي قست عضلات وجهه حول فكيه واستكانت نظرة في عينه تبعث الخوف فيها لسنين.
قال لها:«انزعيه.» ثم مد يده:«وضعيه في يدي فوراً.»
«لقد تركته على الطاولة في القاعة. اعتقد حقاً بأن الذنب ذنبي.» تألقت العينان الزرقاوان بحقد على جنيفر:«لكنني لم اعتقد بأن هناك لصوصاً في المنزل.»
«لا احد منا يعرف.» اتى صوت لوسيان كالصوّان عندما نزعت جنيفر العقد ووضعته في يده. ثم انتقدها بنظرة:«كيف تجرأت على فعل ذلك؟ بعد كل

ما فعلته عمتي ميمي من أجلك، كيف تجرأت على سرقة عقدها؟»

«لم أكن اعرف بأنه يخص العمة ميمي.» بالطبع كان من الخطأ قول ذلك، لكنها لم تكن تفكر على نحو مستقيم. عندها اوضحت لوسندا بالكلام قائلة: «لقد أقرضتني إياه لأرتديه هذا المساء.» فجأة وبطريقة غير منطقية كانت الفكرة الرئيسية في رأس جنيفر رغم كل شيء ان العقد لم يكن هدية الحب كما توهمت. في تلك اللحظة لم يكن ذلك مهماً، سوى بعض الشيء.

وبرغم اضطراب افكارها فقد كانت مدركة لما يقوله لوسيان: «لن أخبر العمة ميمي. فهذا سيسبب لها كثيراً من الأذى. لكنني أمنعك ان تطأي هذا المنزل مجدداً وللأبد. هل تفهمين ذلك؟ من الآن وصاعداستبقين بعيداً.»

«نعم، أفهم، لكن...»

«لكن لا شيء.» قطع لوسيان كلامها قبل ان تكمل، فنظرة عينيه قد سببت رعشة لأعماقها شعرت بها فور انسحابها عندما اضاف بصوت قاس: «ان سمعتب بأنك قد وطأت هذا المنزل مرة ثانية، فسوف تندمين، اعدك بذلك.»

«لا اريد ان اطأ هذا المنزل مرة ثانية، لست مضطراً لتهديدي.» لم تصدق انه يكلمها بهذه الطريقة. لم تفعل شيئاً تستحق عليه ذلك، لم تسرق العقد، فكيف يمكن ان يصدق ذلك!

الا ان اعتراضها بقي لنفسها، مقفل عليه في داخلها وكأنه قد حطم ارادتها في اعطائها أي تفسير.

وقف جانباً: «بإمكانك الذهاب الآن. ولا تنسي ما اخبرتك به، لا تعودي ابداً.»

اسرعت جنيفر ماضية، وجهها شاحب، قلبها ممزق وأردفت قائلة: «لا تقلق، لن اعود.» بعدها فرت من المنزل باكية.

مضت ست سنوات قبل ان تطأ ذلك المنزل مجدداً، بعد ست سنوات من اليأس والبكاء، نجحت اخيراً في طرد لوسيان من قلبها وتحويل اعجابها القديم به الى كره. كانت في السابعة عشرة من عمرها عندما ذهبت الى بيت العمة ميمي في زيارة غير متوقعة بسبب بطاقة العيد وذلك بطلب من والدتها التي كانت طريحة الفراش بسبب الانفلونزا.

كانت العمة ميمي في الحديقة وفور رؤيتها لجنيفر أصرت على دخولها وتناول العصير. قالت لجنيفر الرافضة: «لن اقبل أي جواب بالرفض.»

موجهة إياها عبر القاعة الى قاعة الاستقبال حيث كان لوسيان يجلس هناك.

غالبا ما ترتعش عند رؤيته. السبب الوحيد لعدم ارتعاشها هذه المرة لأن اقدامها قد ثبتت بالأرض فجأة. فقد رأته مرة بسرعة منذ تلك الكارثة المفاجئة بشأن العقد، لكن هذه هي المرة الأولى منذ ست سنوات التي تنظر فيها مباشرة الى وجهه. ومع ان

ذلك لم يكن ممكناً إلا أنه كان أكثر وسامة من ذي قبل. كان يرتدي بنطالاً عادياً وكنزة صوفية زرقاء، وكان شعره قد نما قليلاً مما جعله يبدو أقل وحشية من العادة، وبشرته قد صبغت أكثر بحيث كانت تشع منه الحيوية، ومعالم وجهه قد فقدت نعومة المراهقة غير الناضجة. لقد اصبحت محددة بحزم اكثر الآن، مما اعطاه مظهراً يناسبه. إلا ان عينيه لم تتغيرا. فقد كانتا دائماً عينين جريئتين، خطيرتين وداكنتين وجذابتين.

لم يفقد اياً من لباقته الاجتماعية القديمة. كان يتصرف وكأنه سعيد لرؤيتها. اما العمة ميمي فلم تشك بشيء.

«كم اصبحت ناضجة.» جالت العينان السوداوان عليها بطريقة لم تقم بها من قبل وتابع:«بالكاد عرفتك.»

«أوه، انها فتاة شابة. وسوف تسافر الى لندن حالاً.» ابتسمت العمة ميمي بدفء وهي تناولها كوب العصير:«السنة القادمة ستدخل الى مدرسة الفنون.»

«هذا لا يفاجئني الآن. لطالما قلت بأن لديها موهبة.» القى لوسيان نظرة مُحبة على جنيفر ثم قال لها:«انا مسرور جدا لسماع ذلك.»

حدقت جنيفر الى العصير وتذكرت ذلك المشهد المأساوي في الحمام، والطريقة الحقيرة التي جعلها تشعر بها وكل الاشياء القاسية التي قالها.

كان لا يزال يعتقد خلف تلك الابتسامة بأنها سارقة، جعلتها هذه الفكرة ترتجف، الا انها جعلتها تغضب ايضاً. كيف يمكنه ان يصدق مثل هذا الأمر الحقير؟

ابتسمت العمة ميمي ابتسامة ودية وقالت:«يذهب لوسيان الى لندن بعض الوقت كما تعرفين. هكذا هو، عندما لا يسافر حول العالم.»

سمعت جنيفر عن نجاحات لوسيان، عن اعماله المتنوعة المزدهرة، فهو لا يزال في الخامسة والعشرين وقد كان كزعيم قوي تقريباً.

قالت مسيطرة على غضبها، نافية عارها، وهي تنظر إليه:«يبدو أنك اصبحت شخصاً مهماً جداً هذه الأيام، وذلك أنني اتعجب بأن لديك الوقت لزيارة قريتنا الصغيرة.»

«أخصص بعض الوقت لزيارة القرية او بالأحرى لزيارة عمتي ميمي. هذا أقل ما يمكنني فعله... فهي عمة طيبة معي دائماً.»

انه توبيخ لطيف وأيضاً تذكير بأنه لم ينس قصة العقد... وانه ما زال يحتقرها لخيانتها العمة ميمي، التي كانت برغم كل شيء طيبة معها ايضاً.

اختلست جنيفر النظر أسفل حجرها، تمسح بأصابعها على تنورتها، جاعلة نفسها تبدو أكثر إثماً. فهي لا تستطيع النظر إليه، مدركة ما يصدقه، مع أن ذلك بعيد ملايين الأميال عن الحقيقة، فهي لم

تخن العمة ميمي ابداً. ومجرد الفكرة كانت مخجلة جدا.

«ربما كان بإمكانكما رؤية بعضكما عندما تذهب جنيفر الى لندن.» ليس لدى العمة ميمي أي فكرة عما جرى.

استدارت باتجاهها وتابعت:«انا متأكدة بأن لوسيان سوف يساعدك ان احتجت للمساعدة بأي شيء. وأمر جيد بالنسبة اليك ان تعرفي ان لك أخاً كبيرا موجوداً.»

عند ذلك، نظرا الى بعضهما تلقائياً وضحكا، مرت ابتسامة مميزة بينهما. لوسيان، أخ كبير؟ لم يكن كذلك ابداً بالنسبة لها! لكن، مع انهما يعتقدان الأمر نفسه معاً، الا أنه عكس ذلك لأسباب مختلفة.

بالنسبة لجنيفر، حتى عندما كانت صغيرة لم تفكر بلوسيان ابداً على أنه أخ اكبر. فقد كان مميزا جداً، جذابا جداً للوقوع في مثل هذه المقولة. والآن هذه الفكرة اصبحت غريبة جداً لأنها ببساطة قد كرهته.

اما بالنسبة للوسيان، فمن الجائز أنه لم يفكر أن بينهما أي انواع العلاقة على الاطلاق! شكت جنيفر بذلك لأنه معظم الوقت لم يكن قادراً على رؤيتها.

ولا حاجة للكلام، فجنيفر لم تر لوسيان في لندن. طوال الثلاث سنوات التي قضتها في المدرسة الفنية، لم يحدث ان التقيا ولو صدفة لمرة واحدة. كانت قد

وقع عيناها عليه مرتين فقط الى ان فاجأها عند صندوق البريد.

إحدى هاتين المرتين كان مسرعاً حتى أنه لم يرها. كانت تقود قرب البيت ورأته يسير على الطريق. أما المرة الأخرى فقد كانت منذ ثمانية عشر شهرا ولم تكن سارة.

فقد كانت هي وكلايف بمفردهما. كانا خارجين من مقهى محلي ويمشيان مباشرة باتجاه لوسيان. تذكرت كيف أنه نظر الى كلايف وكأنه نفاية، ثم استدار ليرمقها بتلك النظرة الداكنة الحادة.

«سمعتٍ بأنكما استأجرتما المتجر.» كان رفضه ملموساً. نظر إليها من أعلى إلى أسفل ثم قال لها بصوت ينذر بالسوء. «سنرى.» بعدئذٍ تركهما مذهولين واستدار مبتعداً.

كان ذلك تاريخ جنيفر ولوسيان المحزن. الآن فقط بدأ يتجه نحو الأسوأ. الآن، فجأة، أصبحت الأمور اكثر علانية ووحشية. الآن فجأة، بدأ يقود حياتها للنهاية.

عادت جنيفر الى المنزل، بعد خروجها الشائن منه. استلقت على الكنبة وحدقت الى السقف، منذهلة ما الذي حث الأمور نحو الطريق الخاطىء. غضبه منها قد كمن ساكناً لسنوات. فما الذي جعله يعود؟ لا بد أنه قد جرى شيء ما. فليس من المعقول أنه احب فقط إثارة الموضوع بخصوص بذاءة كهذه، بناء على

اعتقاد احدهم إن جريمة حصلت منذ سنين؟ لا يبدو ان ذلك صحيحا. لكن ماذا يمكن ان يكون ايضا؟
وبينما هي تفكر، رن جرس الهاتف على الطاولة قرب الكنبة. مدت جنيفر يدها، بتنهيدة، ورفعت السماعة الى اذنها.
قالت:«آلو؟»
«جنيفر، انا كلايف. كيف حالك؟»
«كلايف؟ انا مسرورة لسماع صوتك.» جلست جنيفر وهي تبتسم باطمئنان. لم تدرك كم كانت يائسة وبحاجة الى صوت مشجع. ثم عبست:«إذا كنت فعلاً تريد ان تعرف، أنا لست بخير.»
«لِمَ، يا جنيفر؟ ما الخطب؟» كان كلايف مهتماً تماماً:«هل حدث أمر ما؟ هل انت مريضة؟»
«لا، لست مريضة. لكن، أجل، حدث أمر ما.» صممت جنيفر، مترددة بشأن شرح كل المأزق على الهاتف:«أنظر، سأخبرك كل شيء عندما تأتي في الغد.» ثم اضافت:«لكن لا تقلق، انا متأكدة بأنه أمر يمكننا تدبره.»
«لقد قلقت للتو.» كان صوت كلايف جاداً:«هيا، يا جنيفر، اخبريني بما يجري.»
شعرت جنيفر بالذنب. ما هذا المأزق الذي سببته له، والآن، لجعل الأمور اسوأ، سببت القلق لكلايف.
«انه ابن أخ العمة ميمي... لوسيان، أتذكره؟ لقد مر الى المتجر، وافتعل مشكلة.»

«مشكلة من أي نوع؟ هل سبب لك الأذى؟»
اجابت فورا:«لا، بالطبع، لا.» لقد كان لوسيان خطيراً، لكن ليس بالطريقة التي قصدها كلايف. ثم اسرعت قائلة:«يبدو انه يحيك الاتهامات حول العمل...» ثم توقفت فجأة:«دعنا لا نتكلم عن ذلك عبر الهاتف. سأخبرك كل شيء عندما أراك. متى ستعود؟»
كانت هناك لحظة صمت قصيرة.
«كلايف؟»
اجاب بصوت قلق:«سأعود عند موعد الغداء تقريباً. اهتمي بنفسك الآن. سأراك لاحقاً. ليلة هادئة يا جنيفر وأحلاما سعيدة.»
فكرت وهي تستعد للنوم بين اغطية الفراش تلك الليلة ان هذه مصادفة جيدة، فقد اطمأنت لأنها علمت ان كلايف سيحضر لاحقاً. على الأقل سيكون هناك شخص يعطيها بعض الدعم.
لكن هذا كل شيء يستطيع تقديمه لها. حدقت في الظلمة. كانت هذه فكرة حقيرة، فكلايف ليس نظير لوسيان. فهي لا زالت مقتنعة ان هذا الصراع هو بينها وبين لوسيان.
تنهدت وأغمضت عينيها. لا يجب ان تسلم كلايف الى عدوه بضعف فهي لولاه لما قدرت على النجاح في الثمانية عشر شهراً الماضية. فقد استطاع وضع قليل من رأسمال المدفوع للعمل، وبالنسبة لجهده وحماسه في الاسهام فقد كان نبعاً لا ينضب.

جعلها ذلك تشعر بالاثم مجدداً. والآن بفضلها خضع كلايف لفقدان ما عمل جاهداً من أجله ولكن هذا ليس عدلاً. وهو في الواقع لا يطاق. لن تسمح بحدوث ذلك!

هذا ما قررته فجأة. لو ان كل مشاكلها المتدفقة تنبع من تلك الحادثة مع العقد، لكانت عالجت ذلك منذ وقت بعيد وجعلت لوسيان يعلم الحقيقة. لكنها لم تفعل ذلك بسبب عشرات من الاسباب المختلفة... فقد اخبرت نفسها ان ذلك لا يهم، لأنه لن يصدقها. لكنه اصبح الآن مهماً وهي بطريقة ما، ستجعله يصدق.

قطعت وعداً على نفسها. الأمر الأول ان تذهب غداً صباحاً الى منزل لوسيان وتخبره بكل شيء... أملة ان تنتهي كل المسألة قبل مجيء كلايف في وقت الغداء. عند تلك الفكرة التفاؤلية اتجهت للنوم.

استيقظت عند الساعة السابعة والنصف صباحاً على صوت جرس الهاتف.

كان ذلك لوسيان:«عليك المجيء الى منزلي في غضون ساعة. وأنا اعني في غضون ساعة.»

اسرعت جنيفر بالجواب:«كنت انوي المجيء الى بيتك على أية حال.»

لم تكن بحاجة لإزعاج نفسها بالرد. لأن الاتصال كان قد انقطع.

الفصل الرابع

«هل تستمتع بإيقاظ الناس من أسرتهم وبعدها تجعلهم يتسكعون هنا وهناك؟»

ضمت جنيفر قبضتيها بينما هي واقفة في منتصف مكتبه في المنزل وتحدق بنظرات ملؤها البغض والعداوة الى ظهر لوسيان:«لم استطع حتى إيجاد الوقت للفطور.»

«في هذه الحال، لا بد انك جائعة.» استدار ببطء ليواجهها مطفئاً جهاز الكمبيوتر الذي كان واقفاً أمامه. تابع:«سأسأل السيدة لووي، مدبرة المنزل، اعداد شيء لنا معاً. ماذا تحبين؟» نظرت العينيان السوداوان إليها نظرة تقييمية:«معجنات؟ لحم وبيض؟ فنجان قهوة؟»

حدقت إليه جنيفر من جديد، محاولة ان تسأله ماذا يريد بطلبه بعد دفعها للمجيء بسرعة خلال ساعة، كما طلب، لقد أمضت نصف ساعة وهي تعبث في قاعة الاستقبال وقد كانت في حالة مزاجية لا تسمح بهذا العرض من الشهامة الزائفة.

كان محقاً، فقد كانت جائعة، لذا قالت عوضاً عن ذلك بصوت محكم:«افضل فنجاناً من القهوة وشريحة من الخبز المحمص.» ضيقت عينيها الخضراوين وهي تنظر إليه:«لم تجب على سؤالي. لِمَ طلبت رؤيتي

بمثلِ هذا الإلحاح؟ من الواضح ان الوضع ليس مُلحا ولو قليلا.»

«لربما، كما قلت، استمتع بإيقاظ الناس من أسرتهم، ثم ادعهم يتسكعون هنا وهناك لبرهة.» جلس على طرف المقعد وابتسم تلك الابتسامة المتعجرفة التي تثيرها. رفع حاجبيه ثم قال:«وذلك يستحق العناء. فلم أرك جائعة هكذامن قبل.»

«هناك اشياء كثيرة لم ترها.»

اتسعت ابتسامته وهو يقول:«ترددين التهديدات، وبالفعل تبدين فاتنة عندما تكونين مجنونة.»

تلك الفكرة القديمة، هزت جنيفر رأسها بالرفض. مع انها كانت مدركة بأن تورد خديها قد ازداد، وأنها قد أصبحت قريبة جدا للاستسلام الى ذلك الفعل اللاإرادي القديم في الوصول بسرعة الى لمس شعرها. جعلتها تلك الطريقة التي تنظر إليها بتلك العينين السوداوين ترتعش.

ما خطبك؟ وبّخت نفسها، إنك تتصرفين وكأنك قد عدت ابنة الحادية عشرة مِن عمرك مجددا!

مال برأسه باتجاهها:«إذا، لِمَ انت مغفلة الى هذا الحد؟ هل نصفِ ساعة من وقتك مُكلفة لهذه الدرجة؟ هل تستحق فعلا هذا الارتباك لأجلها؟»

«لست مرتبكة، انا فقط منزعجة، وقادرة على التبرير، ان أي شخص سينزعج عند معاملته بهذه الغطرسة. استدعيت بطلب هاتفي عند السابعة والنصف

صباحاً، ثم اترك اتسكع هنا وهناك انتظر حتى تشعر بأنك أحببت رؤيتي! اتعرف لقد اصبحت وقحا.»

وبينما هو يبتسم لها، غير نادم، تهيأ لجنيفر ان شعره كان اكثر تجعيدا من العادة. شعرت بتوهج رهيب وفوري في داخلها، لأن تلك الفكرة ذكرتها بكارين. بينما هي تتقدم داخل أبواب المنزل، وجدت ان من كان يسير أمامها متجها للرحيل، لم يكن سوى كارين، ركزت نظرها أمامها وتجاهلتها، تماما كما فعلت من قبل.

فكرت جنيفر، فيما مشاعرها مضطربة من الواضح ان قصة الحب هذه لا زالت منتعشة.

حاولت إخبار نفسها وهي توقف سيارتها ان كل ما شعرت به كان استنكارا لطريقة لوسيان المخزية في تباهيه على المعجبات به. لكنها عرفت الآن ان الأمر ليس كذلك، فعندما نظرت الى شعره وجاهدت لقمع التوهج الذي حدث في داخلها، علمت ان ما شعرت به كان امرا لا ينبغي ان تحس به.

فكرت، انا اشعر بالغيرة، ارتعبت جنيفر لهذه الفكرة. لِمَ يجب ان أكون غيورة؟

قَطع لوسيان حبل افكارها وابتسم قائلاً:«إذاً، لقد أصبحت وقحا، أليس كذلك؟ أوه، حسنا. لست أول من يخبرني ذلك.»

«لا شك بأنني لست أول من يفعل ذلك، ولا اعرف لِمَ تبتسم؟»

نظرت إليه جنيفر من جديد بوجه غير معبّر عما يجول في خاطرها. لا تحيّري نفسك، قالت ذلك لنفسها. فأنت تقشعرين، وتبدين حمقاء غيورة. ما هذه التجربة المريرة التي تجري؟

رمقته بنظرة ملؤها البغض:«لم يكن ذلك إطراءً.»

اتسعت ابتسامته:«لا؟ يا لخيبة الأمل.»

راقبته جنيفر، مقاومة حثها على الابتسام. فابتسامته يمكن ان تكون مزيلة للنقمة ومفسدة. «مهما يكن، فأنا متأكدة بأنك تستطيع العيش من دون إطرائي.»

تابع لوسيان الابتسام وهو يجيب:«حسنا، لقد نجحت حتى الآن. لم تكوني سخية بإطراءاتك أبداً.»

«لم أجد شيئاً لأمدحه ابداً.»

التقت عينا لوسيان بعينيها:«هكذا فعلاً.»

«وإضافة الى ذلك، يوجد هناك دائما الكثير من الاشخاص يكملون افتقاري للسخاء. وأنا متأكدة بأنه ما زال هناك. انت دائما تحب ان تحاط بالمعجبات.»

هز رأسه ببساطة وتابع مزاحه، دست جنيفر يديها في جيبي سروالها بعدم صبر.

وضحت بحساسية شديدة:«انامتأكدة بأنك لا تترك الأفراد الآخرين، أعني معجباتك يتسكعن هنا وهناك وينتظرن نصف ساعة؟»

«معاملة خاصة للحالات الخاصة.»

«آه! في هذه الحال، اعتقد بأنه يجب عليّ ان أشكرك لأنك جعلتني أنتظر نصف ساعة. اعتقد بأنه يجب

عليّ اعتبار نفسي محظوظة لأنك تنازلت لرؤيتي بأية حال.»

تغير تعبير لوسيان بحدة. فلم يعد يبتسم. وقال:«لو كنت مكانك، لكنت أجلت المحاكمة بشأن ذلك، حتى ينتهي لقاؤنا، في ذلك الحين.» أضاف بابتسامة باردة:«محتمل ألا تشعري بأنك محظوظة الى هذا الحد.»

نظر في عينيها للحظة قبل ان يستدير ويمد يده لالتقاط احدى سماعات الهاتف على المكتب ثم سألها:«قهوة وخبز محمص؟ هل أنت أكيدة ان هذا كل ما تريدينه؟»

أومأت جنيفر:«هذا سيكون كافياً.» تساءلت جنيفر ماذا قصد بقوله. محتمل ان لا تشعري بأنك محظوظة الى حد ما. إنها ذكرى مروّعة ذلك الصراع الآخر الذي اطبق عليهما - الذي يخص مستقبل متجرها - والذي تلقته كأنه تهديد غير مطمئن.

راقبته بحذر من تحت أهدابها وهو يطلب عدة أرقام على الهاتف ويخاطب مدبرة المنزل. هل كان يخطط لاطلاق مفاجئة أخرى إليها؟ لربما قد أحضر موعد طردها من المتجر؟

تنهدت جنيفر بعد لحظة من الهلع التي أصابتها وأجبرت نفسها على البقاء هادئة ومسيطرة على نفسها. لقد عاهدت نفسها الليلة الماضية على انها ستخبره بشأن العقد الذي كان أساس كل شيء، لذلك، لا زالت تشعر بالثقة.

لن يكون من السهل اقناعه. وبرغم ذلك ليس لديها دليل، فعليها ان تعتمد على قدرتها في الاقناع. ويبدو ان قدرتها تهجرها عندما تكون في مواجهة مع لوسيان!

وضع الهاتف جانباً، ثم استدار لمواجهتها قائلا:«فطورك سيكون جاهزا هل تمانعين في تناوله هنا، أم انك تفضلين الذهاب الى غرفة الطعام؟»

«هنا جيد.» هذا اللطف، هذا الاهتمام، هذه العناية، لطالما كان بارعاً في التظاهر بهذه الأخلاق كان ذلك جزءاً من قوته، جزءا من فتنته. لكنه بالطبع كان سافلاً، إذ انه لا يعطي شيئاً من دون فائدة. على الأرجح، الحقيقة انه يستمتع برؤيتها تغص بطعام الفطور، هذا الذي طلبه بلطف شديد.

بقي جالساً على طرف المكتب:«حسناً، لم لا تجلسين على كرسي؟» وأشار الى إحدى الكراسي ثم أضاف:«استريحي، فبرغم كل ذلك أتوقع بقاؤك هنا لبعض الوقت.»

توقعت ذلك منذ البداية، لذلك تمنت ان تنتهي عند موعد الغداء، عند وصول كلايف، لهذا السبب اتصلت بشيرين وطلبت منها الاهتمام بالمتجر.

لذلك، الأفضل لها ان تُسرع في البدء، نظرت في عيني لوسيان وهي تنقل الكرسي:«قبل ان نبدأ، لدي أمر أريد اخبارك به...»

قاطع كلامها عمداً:«ما رأيك بمكتبي؟»

اجابت:«أنا...» ارتبط لسانها، إقترابه منها قد ملأ مشاعرها، غمرها، مرسلاً هلعاً عذباً مفاجئاً من الذكريات اندفع في داخلها بقوة.

«العمة ميمي كانت لطيفة جداً معي لأنها سمحت لي استعمال هذه الغرفة. لربما تذكرين - فقد كانت احدى قاعات الاستقبال الرئيسية.» كان يبتسم ابتسامة غريبة، نظرت العينان السوداوان إليها نظرة ثاقبة وأضاف:«كان يسمح لنا باللعب هنا عندما تمطر.»

«أذكر.»

«أيام سعيدة، أليس كذلك؟»

«أجل، كانت أياما سعيدة.»

فيض آخر من الذكريات انصب في داخلها وهي تقول ذلك، ذكرى أحداث ماضية. لم تكن واثقة. كل ما عرفته انه كان هناك توقاً مؤلماً مفاجئاً في داخلها، غير قادرة على حجبه، أخفضت نظرها نحو الأرض.

سمعته يقول:«كم هو محزن انتهاء أمور كهذه.»

«أجل انه كذلك.»

استمرت بتحديقها في السجادة، وهي تفكر كم هو محزن انتهاءها بهذه الطريقة البشعة، مفسدة تقريبا كل السعادة الماضية.

تذكرت فجأة وهي تفكر بذلك ان هناك أمراً عليها اخباره به. نظرت الى وجهه مجدداً، إلا انها لم تتذكر

ما هو هذا الأمر. كان لوسيان ينظر إليها بنظرة حادة جداً جعلتها للحظة غير قادرة على التفكير بأي شيء على الاطلاق.

لم يذهب عنها هذا الشعور الى ان خطا خطوة بعيداً عنها، بقي يراقبها وهو جالس على احد الكراسي الجلدية.

جلست جنيفر في المقعدالمواجه له، بينما قال لها متابعاً النقاش:«من المفيد امتلاك هذه الغرفة. ومع ذلك لا أمضي كثيراً من الوقت هنا، إلا عندما أكون بحاجة لقضاء بعض الاعمال. لحسن الحظ، العمة ميمي كانت دائما متسامحة بشأن هذه الأمور.»

اومأت جنيفر:«بالطبع.» العمة ميمي كانت شغوفة بلوسيان.

ألقت نظرة سريعة حولها، عيناها لا تنظران شيئاً، إلا انها فقدت الأمل فجأة في ابعاد نظرها عن نظره وطرد المشاعر المفاجئة والعنيفة التي بعثتها تلك الرحلة القصيرة الى الماضي في داخلها، لم تنظر إليه مجدداً الى ان شعرت انها أمسكت زمام الأمور من جديد.

كان صوتها محدداً:«ينبغي ان تكون مشغولا. اقصد، بما انك مضطراً للاستمرار بالعمل حتى عندما تكون في إجازة.»

«ليس عملاً بالمعنى الدقيق. فقط مكالمات هاتفية عادية.» توقف لبرهة وابتسم بمرح:«وبالطبع، المراجعة العادية السريعة للكمبيوتر.»

قالت بصوت ساخر:«بالطبع، المراجعة العادية السريعة للكمبيوتر التي تجبرك على ترك الافراد ينتظرونك.»

قولها هذا طرد أخيراً كل المشاعر الحساسة التي لديها. اعتدلت في جلستها وأضافت:«إذا لم أنا هنا؟ اشرح بلطف هذا الاستدعاء المفاجيء.»

في تلك اللحظة كان هناك طرقا على الباب.

«أدخلي، سيدة لووي.» نهض وخطا نحو الباب للسماح لها بالدخول.

رمقت المرأة جنيفر بنظرة مرحة وهي تدخل حاملة صينية. استدارت ناحية لوسيان ثم قالت:«لقد اعددت كمية كافية من القهوة لشخصين في حال شعرت انك ترغب في تناول فنجان.»

«مدبرة منزل ممتازة. اعتقد بأنني سأفعل.» أخذ الصينية منها ثم وضعها على المكتب:«لطالما كنت خبيرة في تنفيذ رغباتي قبل ان اطلب.»

ابتسمت السيدة لووي لإطرائه. فهو يعرف كيف يجعل مدبرة منزل العمة ميمي تبتسم دائما.

ما ان مضت مدبرة المنزل وهي لا تزال تبتسم، عاد وجلس في مواجهتها وقال:«تناولي فطورك، ربما في اثناء ذلك لن تمانعي في سكب فنجان من هذه القهوة الذكية الرائحة لي.»

«لا مانع على الاطلاق.» استدارت نحو الصينية الى جانبها، أمسكت ابريق القهوة الفضي وسكبت

فنجاني قهوة. بعدها ومن دون تفكير بما تفعل، سكبت قليلا من الكريما في احداهما، حركتها مع ملعقة من السكر ثم ناولته للوسيان.

نظر إليها وهو يأخذ فنجان القهوة من يدها:«لقد تذكرت. هذا رائع، لقد تأثرت كثيرا.»

«لا تتأثر، فهذا لا يعني شيئاً.» لكنها ما لبثت ان ابعدت نظرها بعيداً، مدركة الوهج الدافىء الذي بدأ يزحف فوق وجنتيها. لأن ذلك قد أثر بجنيفر ايضا، وهي تناوله فنجان القهوة، لأنها تذكرت كيف أخذ قهوته من دون حتى اضطراره للتفكير بشأن ذلك. شعرت بقليل من الارتباك بدا ذلك وكأنه دفئاً غير ملائم.

قالت بحذر عرضي:«عقلي مليء بكل أنواع التفاهات التي ليس لها معنى. ذلك كان مثلاً بسيطا على ذلك.»

استمر يراقبها من فوق الفنجان كرد على ذلك ثم رشف قليلاً من القهوة. بعدئذ بدا لجنيفر وكأنه فقط لمجرد إزعاجها، علق قائلاً قبل ان يضع فنجان قهوته مجدداً:«ما زلت تذكرين ذلك بشكل دقيق تماما. الكمية الصحيحة تماما من الكريما والسكر. انني أجد معظم الأفراد يميلون للمبالغة في ذلك.»

اجابت:«اعتقدت اننا هنا لهدف... اقصد أمراً آخر غير مناقشة كيف تحب قهوتك.»

«بالفعل هو كذلك.» جالت عيناه عليها. ولم تكن نظرة عادية، بل وكأنه يدرسها.

ضغطت على نفسها للنظر إليه مجدداً، متغلبة على ازعاجها. تذكرت فجأة ما خططت لاخباره به، جلست في مقعدها في مواجهته، تنحنحت ثم بدأت:«هناك أمر أود ان...»

قاطعها مرة ثانية:«فطورك سيصبح بارداً. تناوليه، فهو أفضل عندما يكون ساخناً.»

تنهدت واستدارت بسرعة نحو الصينية منزعجة فهي لا تحب التأجيل، اخذت نفساً عميقاً ثم استدارت نحوه.

«انظر...»

كان ذلك بقدر ما توقعته. تجمدت في مقعدها، مصدومة بالتعبير القاسي المفاجىء على وجهه. أصبحت عيناه فجأة كغيوم ضبابية سوداء.

«هل تعرفين ما هي هذه؟» أشار بعينيه الى الفخارة الزرقاء على شكل بومة والتي يمسكها بيد واحدة. كان صوته اجش كصوت تحطم الصوان.

حدقت جنيفر بدقة الى البومة، وهي مقطبة ثم نظرت إليه وقالت:«أجل.»

«ما هي؟»

«انها بومة فخارية.» ما هذا السؤال الغبي. فأي شخص يستطيع رؤية ذلك.»

استمر لوسيان بالنظر إليها، متجاهلاً سخريتها، ثم قال بعد مرور لحظة:«ومن صنعها؟»

تعرف الجواب على ذلك ايضا، فقد عرفت البومة

فوراً. مع ذلك ترددت للحظة قبل ان تجيب:«انها لكارين.» رؤية البومة وعودة موضوع كارين ارسلا في نفسها طعنة حادة من الاستياء.

قطع لوسيان ترددها. وواصل اساءة الفهم:«انني مسرور لأنك تصرين على محاولة انكار كل المعلومات. ان لم يكن هناك شيء آخر، فهذا يوفر لنا قليلاً من الوقت.»

عم يتكلم؟ عبست جنيفر:«ما الذي أنكره؟ وما هي علاقة فخارة كارين بأي شيء؟»

«يا للبراءة.» جاء دور لوسيان للسخرية. وضع البومة على المكتب، ثم جلس في مقعده وابتسم ابتسامة جادة:«اردت ان تعرفي لم قررت تصفية اعمالك.»

تألقت عيناه بالحقد وهو يتابع:«البومة هي السبب.»

لم تكن الأذكى. كان يتكلم بالألغاز ويتصرف بتناقض. تابعت لفت نظره الى ذلك.

مدت يدها الى قطعة الخبز المحمص بهدوء قدر المستطاع. ابتسامته تلك جعلتها تفقد شجاعتها قليلاً. علقت وهي تمسح الخبز المحمص بقليل من الزبدة:«اعتقد بأنك ترفض مناقشة اسبابك الى ان يحضر كلايف.» رمقت لوسيان بنظرة من تحت أهدابها ثم تابعت:«لقد قلت شيئاً بشأن توفير الوقت.»

«أجل، هذا ما طلبته.» رشف رشفة أخرى من قهوته، من دون ان يبعد عينيه عن عينيها:«لكن لسوء الحظ،

لقد اجبرت على تغيير مخططاتي. ليس لدي وقت لأضيعه في التسكع هنا وهناك بانتظار شخص لن يحضر.»

اخذت قطعة من الخبز المحمص ثم أخبرته:«لا تكن عديم الصبر، فكلايف سيعود اليوم في وقت الغداء. ليس عليك ان تنتظر طويلا.» استدارت قليلاً كي تصل الى فنجان قهوتها:«لذا كل هذا الإلحاح المفاجيء يُعد نوعاً من الحمق بالفعل. بإمكانك انتظار ساعتين اضافيتين.»

في تلك اللحظة بالذات كانت على وشك الاختناق بالخبز المحمص، فقط دوى صوت في رأسها وسقط ارضاً بارتطامه بالحائط الى يمينها. التفتت حولها، وقلبها ينبض بقوة:«ماذا جرى؟»

ما رأته كان لعبة السهام التي لم تلحظها من قبل، حيث لا زال يهتز سهم احمر في منتصفها. التفتت حولها لتتهم لوسيان بعبوس:«هل تحاول قتلي؟»

«لو انني احاول قتلك، لكنت جعلتك هدفي وليس لوحة الأسهم، مما يصادف ان تكون خطاً مختلفاً تماماً من خطوط اطلاق النار.»

احست من نظرة عينيه وكأنهما تحذرانها ان بإمكانه تغيير رأيه، اخذ سهماً آخر من العلبة الخشبية التي على المكتب، شيئاً آخر لم تلحظه جنيفر، ارسل سهماً آخر ليستقر على لوحة الأسهم، في نقطة النصف تماماً.

حدقت بلوحة الاسهم ثم به وقالت:«استغرب انك لا تضع صورتي هناك! ذلك سوف يبين دوافع غرضك الشريف.»

ابتسم لذلك:«ربما افعل ذلك عادة. ربما قد انزلتها قبل وصولك مباشرة.»

عبست جنيفر:«لأجل احترام مشاعري. كم هو بعيد الاحتمال.» مع انها هي من اقترح هذا في المقام الأول، فلقد كرهت الاحتمال الذي يمكن ان يكون حقيقة.

امسك سهماً آخر:«إذاً،ماذا كنت تقولين؟ بشأن كلايف... شيئاً بخصوص عودته الى المنزل اليوم؟»

«أجل،هذا ما قلته. سيعود في وقت الغداء.»

هز رأسه ثم قال:«حاولي من جديد.»

قطبت جنيفر حاجبيها:«ماذا تقصد بحاولي من جديد؟»

«اقصد حاولي من جديد، وهذه المرة حاولي بصدق.»

تألق السهم الفولاذي في يده:«ليس لديّ مزاج لسماع الأكاذيب.»

«لمَ أكذب؟» حدقت بالسهم بطريقة هامشية أقل هلاكاً من النظرة التي في عينيه:«لقد اخبرت كلايف وسيعود عند الغداء.»

انطلق السهم من خلفها. قفزت جنيفر بعصبية عندما ارتطم السهم باللوحة لم تزعج نفسها في التحقق إذا

ما كان ذلك عين الثور (نقطة على لوحة الاسهم) والغريب في الأمر انها عرفت انها كذلك.»

الا انه كان يوجه هدفه للرماية مع ذلك الاتهام الغريب.

كررت قائلة:«عند الغداء. هذا ما اخبرني به الليلة الماضية على الهاتف.»

وقف لوسيان فجأة جاعلاً إياها تثب من جديد. ثم اختطف البومة الفخارية الزرقاء من على المكتب، خطا باتجاهها ودفعها نحوها قائلا:«اقرأي ما كتب على اسفل هذه.»

جفلت ما ان أخذتها، خطى مبتعداً عنها نحو لوحة الأسهم وبحركة واحدة انتزع الأسهم الثلاثة. وقف أمامها ثم راقبها بعينين داكنتين:«اقرأي ما كتب بصوت عال.»

كان من الصعب التركيز وهو يقف أمامها. غمرها الخوف فجأة من ان يمسها.

ابتلعت ريقها بصعوبة واستجمعت نفسها. كانت تتصرف كحمقاء، غير ناضجة في الحادية عشرة من عمرها. قالت:«كتب عليها بولي اونغ.» رفعت عينيها الى عينيه، ثم ابعدتهما بحدة عندما بدت نظرته وكأنها تحرقها:«واضح انني اخطأت. انها ليست كارين على أية حال.»

ضحك ما جعلها تقشعر:«لا، لست مخطئة، كما تعرفين تماما.» انتزع الطائر الفخاري من بين

أصابعها بينما هو يتكلم:«هذه البومة لا يمكن ان تكون من صنع احد سوى كارين.»

«هذا ما اعتقدته في البداية... انها شبيهة جداً لإحدى الفخارات التي كانت لدينا مؤخراً في المتجر. لكن مكتوب عليها بولي اونغ.» ابتعد قليلا فوجدت نفسها تتنفس براحة أكبر الآن:«واضح ان لديهما أجنيفرب متشابهة جدا.»

لسبب ما، بدت تلك الإشارة قادرة على اغضابه، انتقل ليواجهها من جديدٍ:«لا تجلسي هناك وتكذبي علي! هل تظنينني معتوها؟ اعرف ما يجري.»

«حسنا.» نهضت جنيفر على قدميها. اكتفت فجأة من الجهد العنيف شفهيا، من دون ذكر السهام التي مرت تطن قرب اذنها. «لا اعرف شيئا عن فخارتك او عن الذي صنعها،لا اعرف من هي بولي اونغ، وبصراحة، لا يهمني، وأرغب في اخباري ما هو الأمر الذي تحاول قوله لي فقط.»

«سأخبرك ما احاول قوله لك، انت مزيفة حقيرة، انت كاذبة حقيرةٍ.» قبض لوسيان على معصمها وقرّبها منه، دافعا البومة الفخارية في وجهها:«هذه الإشارة هنا، التوقيع، بولي اونغ، قد طبعت فوق الإسم الحقيقي. من الصعب رؤيتها بالعين المجردة، لكنني اؤكد لك ان الاسم الحقيقي كان كارين، كما تعرفين.»

اعلنت جنيفر من دون تفكير وهو يهزها:«أجل،

اعرف ذلك.» فجأة، وجدت ان من الصعب الربط بين الكلمات.

لم يعد يمسك بها، الا انها كانت وكأنها مقيدة. غالباً ما رغبت في ان تقدر وبطريقة ما شرح سبب عدم تحريكها. سيكون بإمكانها عندها القاء اللوم عليه. لكنها لم تستطع. كانت تقف هناك باختيارها لسبب ما، تتنفس من دفئه، شاعرة ان ذلك يثيرها. وثب قلبها فجأة وكأن شيئاً عاصف في صدرها.

كان ذلك جنونا وقدٍ أخافها،لكنها لم تقو على تحريك هذا الشعور بعيدا.

بعدئذ وبرغم الضجيج في رأسها، سمعته يقول اسم كلايفً:«إذا، ألا زلت تدافعين عنه وتقولين بأنه سيعود عند الغداء؟»

شعرت بفيض من العار يسري فيها. بما كانت تفكر؟ كلايف صديقها. الرجل الذي أراد الزواج منها، الرجل الذي كان من الممكن ان تمضي بقية حياتها معه.

والآن هي تتلهف وراء الرجل الذي كرهته والذي لا يرغب لها ولكلايف سوى الضرر. تتلهف لأجله. ليس هناك طريقة أخرى للتعليق على ذلك.

خطت خطوة نحو الوراء. مليئة بالاشمئزاز لنفسها، وجاهدت قليلاً للرد على سؤاله. تنحنحت بسرعة ثم أجابت بصوت أجش:«بالطبع، سيكون في المنزل اليوم عند الغداء.»

«لا، لن يفعل، وانت تعرفين ذلك.» خطى مبتعداً بازدراء. أصبحت عيناه كمقص يقطعها إرباً:«لن يعود. بالتأكيد ليس اليوم، اعرف كما تعرفين انت جيداً ان عزيزك كلايف قد هرب.»

اختلست النظر إليه:«هرب؟ لم يفعل ذلك؟»

«لأنه يعرف انني ألاحقكما.لا شك انك اخبرته وبالنسبة لما سمعه اصبح مفهوماً انه يفضل ان يبتعد عن الطريق لبرهة، ومع ذلك فهذا يعني تركك لتلقي كل الضغط في مجرى الاحداث.»

«لا أعرف عما تتكلم.» غرقت في مقعدها مجدداً، مستنفدة فجأة كل الجهد في متابعة هذا النقاش:«ارغب ان تبدأ بقول شيء يكون مفهوماً بعض الشيء.»

رمقها بنظرة قاسية. من الواضح انه اعتقد بأنها تخدعه:«حسناً.» اذعن لوسيان لها، وعاد يجلس مجدداً في مواجهتها:«دعينا نجرب بعض الحقائق المباشرة ونرى ما إذا كان باستطاعتك فهم ذلك.»

رفع الفخارة الزرقاء أمامها:«اخبريني كم هو ثمن الواحدة من هذه.»

فكرت للحظة:«لست متأكدة مئة بالمئة. فكلايف هو الخبير بالفخار لست أنا، لكن يبدو انني أتذكر بأنه كان لدينا واحدة في المتجر كان سعرها محدداً بحوالي خمسة عشر أو ستة عشر باوندا.»

«هذا يبدو معقولا.»

هكذا تذكرت شيئاً صحيحاً! لا اختيارياً، ارتسمت ابتسامة مُطمئنة على شفتيها.

الا انها لم تلبث طويلا. انحنى لوسيان باتجاهها:«إذاً كم تباع هذه في لندن بحجم أكبر بما يقارب عشر مرات هذا الحجم؟»

«عشر مرات هذا الحجم؟»

«الا تتظاهري انك تفاجأت، انت تعرفين جيداً كم تجلب هذه البومات هناك في لندن.»

لم تعرف جنيفر شيئاً كهذا. في الحقيقة، عند تلك اللحظة بالتحديد، لم تكن حتى متأكدة من انها تعرف اسمها. حدقت به بصمت وهو يتابع:«تصوري استغراب ويأس المسكينة كارين عندما كانت تسير قرب متجر للحرف اليدوية قرب مسكني ورأت عملها معروضاً للبيع تحت اسم آخر، وبسعر أغلى مما دفع لها. انا متأكد بأنك تقدرين اضطرابها من غير ريب.»

حدقت به من بين كل الأمور التي أخبرها بها ظهر أمر واحد، مزعجا بقسوة، قالت له:«متجر للتحف قرب مسكنك؟»

«هذا صحيح قرب ريجنت بارك.»

الآن عرفت أين يقطن. عبست:«ماذا كانت تفعل كارين في ريجنت بارك؟»

رفع حاجبيه مستغرباً من سؤالها وأجاب:«كانت معي. لا أرى ان ذلك يغير شيئاً.»

لن يغير شيئاً. لكن، الأمر نفسه قد حصل. هذه العلاقة مع كارين، لم تكن رغم كل شيء مجرد ارتباط جديد زائل، كما اتضح لها فجأة.

وجدت نفسها تسأل:«متى كان كل هذا.»

«تقصدين عندما اكتشفت كارين ذلك؟ منذ عدة أسابيع، ليس مدهشاً انها انهارت منذ ذلك الحين.»

وجدت جنيفر نفسها تفكر وهي مدركة انها لم تكن تعرف بهذا الأمر من قبل.

«ربما لم تكن البومات خاصتها.» ضغطت على نفسها لتقول شيئاً. كان يراقبها، ينتظر تفاعلها:«اقصد، لو ان فخارة مثل تلك الفخارة الزرقاء موقعة بإسم بولي اونغ، ربما ليست لكارين، ربما هي لبولي لونغ.»

عبست، متمنية لو ان كلايف موجود، فهو يعرف كل شيء بشأن الفخارات:«ربما بولي أونغ هي شخص معروفٍ ينبغي ان تكون من عامة الشعب لتطلب اسعاراً كهذه.»

بقي صامتاً لِلحظة. عيناه تنظران اليها مباشرة، لم يكن متأثراً، فقد استطاعت اكتشاف ذلك بوحي عقلاني تام.

قال لها بصوت عنيف:«بلى، انها بالفعل من عامة الشعب. لكن ليس هناك بولي اونغ. والفخارات هي لكارين.»

«كم يمكنك ان تكون واثقاً من ذلك؟ ربما تكون مخطئاً بشأن تغيير الاسم.»

«كفي عن الكذب، يا جنيفر.»

«لست كاذبة! أحاول فقط ايجاد تفسير حيث كيف ان بعض الفخارات التي تشبه خاصة كارين يمكن ان تنتهي في لندن حيث تباع لثري تحت اسم آخر، والتفسير الأكثر ترجيحاً الذي اعتقده هو ان هذه الفخارات في الحقيقة لشخص آخر.»

انحنى باتجاهها فجأة، مما جعلها تتراجع للوراء وقال:«الفنان يعرف عمله الخاص ولن يغفل عن اخطاء كهذه. رأت كارين البومات وعرفتها على الفور، لقد أمسكتها بيدها وقد عرفت انها لها. لم يكن هناك حتى القليل من الشك في بالها.»

ضيق عينيه السوداوين، مما ثبت جنيفر في مقعدها:«هل لديك أي شكوك بالنسبة لتطابق رسوماتك مع رسومات احدهم؟ حتى لو وجدتِ احداها موقعة تحت اسم بولي اونغ...» توقف، جاعلاً السخرية التي في صوته تنهال عليها:«بل رغم ذلك، بالتأكيد، سوف تعرفين ان الرسومات هي لك؟»

«بالطبع سأعرف.» اختلست جنيفر النظر الى الارض، لقد كان ذلك امراً ليس باستطاعتها الجدل فيه. من الممكن ان يسيء الآخرون لعملها، لكن هي لن تفعل ابداً. فكل نقطة تلوين، كل مسحة فرشاة لكل صورة رسمتها قد وسمت بثبات في دماغها.

تنهدت:«وهل كارين واثقة من غير ريب؟»

ما ان رفعت نظرها باتجاهه حتى سرت قشعريرة

باردة في جسدها. لم تر احتقاراً لهذه الدرجة على وجه أحد ابدا. كان صمته رهيبا، لم يجبها شعرت جنيفر وكأن اعصابها قد تحطمت تحت ثقلها. ثم وكأنه يسعى للسيطرة على الانفعال في داخله، حدد ببطء سهما الى لوحة الأسهم من دون حتى ان ينظر إليها.

قال لها بينما السهم يرتطم باللوحة:«تعلمين، عندما اخبرتني عمتي ميمي بشأن المتجر. اعجبتني مبادرتك. بدت فكرة جديرة بالثناء ان تدعمي نفسك بمتجر صغير للتحف بينما تواصلين الرسم بجدية في وقت فراغك...»

رمقها بنظرة قاسية حين سألت:«هل عرفت القصة الصحيحة؟»

ارتطم سهم آخر بلوحة الاسهم:«هذا ما قلته للعمة ميمي عندما اقترحت الموضوع عليها، ألم يكن كذلك؟ تلك كانت القصة التي من المفروض اننا صدقناها جميعا.»

احست جنيفر بجفاف في حلقها ما الذي حدث الآن؟ اومأت ثم قالت:«هذا ما حصل في الحقيقة.»

قال بصوت هادىء:«اعتقد لا.» امسك السهم الثالث بيده:«اعتقد ان المتجر هو غطاء ملائم لمواصلة أعمالك المخادعة. اشتركت مع كلايف، جيد، لقد كان الشريك الجيد للجريمة، ألم يكن؟ تجارب كثيرة سابقة في مثل هذا النوع من الأمور، وتابعت الحصول لنفسك

على بعض مهارات اصحاب الحرف الصغار التي بإمكانك بيعها بربح أكبر في لندن بينما تتظاهرين بأنك قد بعتها بثمن زهيد هنا.»

ما ان سكت قليلا طلبا للراحة، حتى أصبحت الغرفة وكأنه قد حصل فيها زلزال حقيقي. «لكن لا ينبغي ان اتفاجأ.» كانت عيناه كالرماح:«فأنت دائما تميلين نحو ذلك الاتجاه...»

«لا!» في الوقت الذي وثبت فيه جنيفر للدفاع عن نفسها، انطلق سهم قرب أذنها، سبب لها صدمة فسكتت.

خطا لوسيان باتجاهها، عيناه تتألقان عليها:«لم يعد هناك سرقة بعد الآن، لا تزييف بعد الآن، نشاطك هذا قد انتهى، انوي ايقافك عن ذلك، انت وصديقك القذر، هل تفهمين؟» وقف وعيناه تتقدان، ثم تابع:«لطالما كنت لصة، والآن ستدفعين الثمن.»

عندها لم تعد تتحمل توبيخه، فانهالت عليه صارخة في وجهه.

الفصل الخامس

«لا أسمح لك بأن تقول هذه الاشياء عني! انا لست لصة، لم أكن ابدا.»
اندفعت بقوة نحوه وبدأت تضربه بقبضتيها، دموع الغضب والخيبة انهمرت من عينيها:«ليس لديك الحق بأن تقول هذه الاشياء المخجلة عني.»
«لا؟ فأنت بريئة تماما، ألست كذلك؟» ابتسم ابتسامة مريرة في الوقت الذي انصبت ضرباتها بضعف على ذراعيه وصدره:«البريئة المدعى عليها؟ أوه، أجل واثقة انني سأصدق ذلك.»
«انها الحقيقة.» امسكته بياقة قميصه، تلويه وتشده وهي تتابع:«كيف يمكنك تصديق هذه الاشياء المخجلة عني؟»
ما ان نظرت إلى وجهه، بعينين ملؤهما الألم واليأس، تذكرت العقد وكيف خططت لإخباره القصة الحقيقية.
لكن ما الهدف من إخباره ذلك الآن؟
هذا لم يكن بشأن العقد. هذا بشأن امر آخر اكثر فسادا. يبدو انها متهمة بأسوأ انواع الخداع والخيانة، بدت متهمة بخيانة واستغلال احد الفنانين.
والصورة الحقيقية كانت مروعة بكل ما في الكلمة من معنى.
شدت ياقة قميصه بقوة من غير جدوى:«لا شيء مما

ذكرته صحيحاً، لِمَ تتهمني بكل هذا الجرائم التي تدعيها؟»
«عليك الاعتقاد بصدق كلامي، فلا يوجد أي ادعاء بشأنه.» أمسك لوسيان بمعصميها برفق، ليوقف هجومها عليه. نظر في عينيها فجأة بهدوء رائع وقال:«لم فعلت ذلك، يا جنيفر؟ لقد كنت طفلة رائعة عندما كنت أصغر.كيف استطعت اذلال عائلتك بهذه الطريقة؟»
«عائلتي؟»
اختلست النظر إليه، ارتباك مفاجيء سرى في داخلها. الطريقة الرقيقة التي كان يمسك بها، والطريقة التي كان ينظر بها اليها، بشيء قريب من الدفء والاهتمام في عينيه، كل ذلك جعل قشعريرة تسري في جسدها.
قطب حاجبيه قائلا:«عائلتك محترمة ومحتشمة. الا تهتمين لأن ذلك سوف يدمرهم لو عرفوا؟»
«بالطبع أهتم، لكنهم لا يعرفون،هل علموا بشيء؟»
شعرت بالضيق في داخلها عندما فكرت في والديها، فقد ذهبا من القرية للعيش والعمل في سومرست، وبعماتها وأعمامها الذين ما زالوا يعيشون في الجوار. لن تنجو من العار ان سمع أحدهم بذلك.
هز رأسه:«آمل ان لا يعرفوا ابدا. خصوصا والدتك فهي لا تستحق كارثة كهذه. هي احدى اروع النساء اللواتي عرفتهن على الاطلاق.»

«اعرف.» وهي تعلم ان لوسيان يتكلم باخلاص. لديه عيوبه، فيمكن ان يكون متعجرفاً ومستبداً، الا انه كان دائماً يعامل والدتها بكل احترام ولطف. لم تعرف ذلك من قبل ابداً الا انها كانت ممتنة له من اجل ذلك.

حاول ان يخفض صوته وهو يقول:«إذاً لمَ فعلت ذلك؟ بالتأكيد عدة مئات من الدولارات او حتى عدة آلاف، لا يستحقون جلب السمعة السيئة لنفسك ولعائلتك.»

نظر إليها بطريقة جعلت قلبها ينبض بشدة في داخلها.

لم تر جنيفر تلك النظرة في عينيه، منذ سنوات، لقد نسيت كم باستطاعته ان يكون دافئاً ومهتماً مثلما كان في الماضي!

يد واحدة تركت ذراعها وامتدت لتمسك ذقنها:«ماذا حدث، يا جنيفر؟ هل ذلك الرجل هو من جعلك تفعلين ذلك؟»

سألت جنيفر بدهشة:«أي رجل؟» ليس باستطاعتها التفكير في شيء سوى الاصابع التي تمسك ذقنها. قالت مجدداً«أي رجل؟»

«كلايف، أليس هو من جعلك تفعلين ذلك؟»

«لم يكلمني بخصوص أي شيء.»

«لا تستمري بالانكار. فقط اخبريني هل كان ذلك الرجل... هل كان كلايف هو من قال لك ان تفعلي

ذلك، سأتفهم الأمر وسننسى ذلك كله. تذكري، انني أعرف أي نوع من الرجال هو. لست اول شخص يضلله كلايف.»

عبست جنيفر مرتبكة. نظرت في عينيه وسألته:«ماذا تعني؟ انني لست أول شخص يضلله كلايف؟ ماذا تعني عندما قلت ان لديه سجله؟»

«الا تعرفين؟»

«أعرف ماذا؟»

«عن سجله.»

«بالطبع لا. ليس لديه سجل.»

«اعتقد بأنك على حق، ليس لديه. فلقد نجا من ذلك بطريقة تقنية الا انه كان مجرماً. حتى محاميه الخاص ليس لديه شك بذلك لقد قام بالسطو هو وصديقه.»

«عم تتكلم؟» كان هذا النقاش مضحكاً. وأكثر من مضحك، فقد وجدته جنيفر منذراً ومخيفاً. لديه الجرأة لقول كل هذه الاشياء المروعة عن كلايف! عادت الى وعيها فجأة، وكأنها تحررت منه:«ما تقوله مشوه للسمعة! لن أصغي لأي كلمة أخرى من ذلك!»

«كم انت شريفة ومخلصة.» اصبح تعبيره قاسياً فجأة:«طبيعي ان اجد هذه العواطف الرائعة، لكن في هذه الحال، انا آسف، فإنني على الارجح اجد ذلك داعياً للاشمئزاز، فمجرم كهذا غير جدير بإخلاصك، يا جنيفر.»

«لِمَ، بما انني مجرمة ايضاً، بالتأكيد ليس هناك شيء أكثر وضوحا؟ نحن المجرمون علينا ان نبقى مخلصين بعضنا لبعض.»

«هل هناك اخلاص بين اللصوص؟ ليس هناك شيء كهذا، لا تتابعي عملك مع ذلك الرجل وسوف تجدين ذلك منتهيا، حالا.»

«لا، بل سأتابع عملي معه.»

شعرت بالغضب والتحدي فجأة. لم تأبه لما اعتقده لوسيان. كان كل شيء محال.

خطت مبتعدة عنه:«لقد سمعت ما يكفي من هذه التفاهات. إذا كنت قد انتهيت فأود ان أرحل الآن.»

اثناء انتزاعها لحقيبتها سد لها لوسيان المدخل:«اوه، لم انته منك بعد، ولأكون صادقا، لم أبدأ معك حتى الآن.»

شعرت بالضعف يسيطر عليها. عرفت انه يعني ذلك حقيقة. فلوسيان لم يكن ابدا صديقها، اما الآن، فقد اصبح عدوها ولا سبيل الى تغيير ذلك.

ما زالت تضغط على نفسها للنظر الى وجهه:«إذاً ماذا ستفعل معي؟ هل ستشدني وتقطعني ثم تضع رأسي على وتد؟»

ابتسم ابتسامة شرسة:«لا شيء مسرحي كهذا. كل ما انوي فعله هو وضع حد لخداعك، بالطبع استعادة الأموال التي سرقتها وإعطائها لمالكها الحقيقي.» تابع وهي تحملق به:«إكراما لوالديك،

آمل ان أفعل ذلك كله من دون تدخل الشرطة. وان لم يكن اكراما لهما فلن ارجو ذلك مرتين، وسيكون من دواعي سروري ان اراك خلف القضبان.»

فكرة رائعة، اقشعرت جنيفر لبرودة كلماته. جفلت عندما تحرك فجأة. الا ان كل ما فعله هو ان خطى جانبا.

قال لها:«بإمكانك الذهاب، هذا كل شيء بالنسبة للآن.»

خطت من خلفه بسرعة وركضت نحو الباب، توقفت عند المدخل فجأة واستدارت لتنظر إليه:«الى أي حد انت واثق بأني متورطة في كل ذلك؟» خطرت هذه الفكرة في بالها فجأة، فقد بدا واثقا جدا.

نظر إليها مطوّلا، ثم قال:«اوه، انا واثق، لدي وصف دقيق لك من صاحب المتجر في ريجنت بارك. فهو يتذكرك منذ ان سلمت اول مجموعة من الفخارات.» ابتسم ثم تابع:«لقد كنت غبية. كان ينبغي ان تضعي قناعا فشعرك الأشقر مكشوف للغاية.»

استدار مبتعدا بطريقة فظة، ليطردها:«الآن ارحلي ولا تقلقي، فسأكون على اتصال.» ابتسم ابتسامة جارحة من فوق كتفه:«كما اخبرتك، لم انته معك بعد.»

كان الوقت متأخراً حوالي منتصف الليل، وجنيفر في مكانها المخصص للرسم، ترسم بشكل غير مجد على اللوحة، الا ان ذلك كان تبذيرا للوقت،

فلم تستطع التركيز. قذفت فرشاتها جانباً وجلست على كرسيها.

احد اكثر الاشياء ازعاجاً بالنسبة لها ان كلايف لم يحضر. فوقت الغداء قد حان وانتهى منذ وقت طويل ولم يحضر. حتى انه لم يتصل.

انها محنة كبيرة، لقد امضت يومها في قلق.

«هل انت متأكدة بأنه ليس هناك اتصال هذاالصباح؟»

سألت شيرين اثنتا عشرة مرة على الأقل خلال اليوم. فهذا ليس من عادة كلايف. ليس من عادته على الاطلاق. فهو يتصل دائما ان كان يريد التأخر.

لكن هذه المرة لم يتصل. حتى انه لم يكن هناك مجرد إشارة عنه. اتصلت عشرات المرات الى شقته تاركة رسائل على آلة الهاتف، الا انه لم يتصل ليرد عليها.

بعد ان اقفلت المتجر، توجهت الى شقته وقرعت جرس الباب بلا توقف وتكلمت مع الجيران. لكن لم يره احد والشقة كانت ساكنة ومظلمة. كان من الواضح انه ليس هناك.

عندها بدأت تشعر بقليل من الألم. ماذا لو حدث له حادث؟ تحطم سيارة او شيء آخر؟ لذا اتصلت بالبوليس وطلبت منهم التحقق ان كان ثمة حادث سير في مكان ما على طول الطريق التي يقطعها عائدا الى القرية.

من أجل طمأنتها، قالوا لها لا. لكن مع انها خففت من رتابة هذا الأمر الا انها ليست واسعة الاطلاع.

اين اختفى كلايف ولِمَ؟

كانت غير قادرة على تَناول طعام العشاء، فقد اتصلت عند موعد النوم وموعد الفطور الى حيث يبقى كلايف عادة عندما يسافر في عمل حول المنطقة.

أخبرتها المرأة:«أجل، لقد كان هنا، الا انه رحل الليلة الماضية.»

إذا، الى أين تذهب من هنا؟ دون يأس، قالت ذلك لنفسها. هناك تصميم من اجل شرح منطقي تام ولا بد أنه سيتصل فقط. احتفظي بهدوئك. يبدو انه ارتبط بعمل غير متوقع في مكان ما. ان الأمر بهذه البساطة.

خطت الى مكان الرسم ووضعت لباساً خاصاً لذلك وحاولت ان تقوم ببعض الرسم. ذلك كان يهدئها عندما تكون قلقة بشأن شيء ما. لكن هذه المرة لم تفعل فلم تستطع التركيز. كانت تتمنى في كل دقيقة ان يرن جرس الهاتف.

حدقت بالهاتف بينما هي جالسة هناك بصمت:«ارجوك ان ترن! هيا، يا كلايف! دعني اعرف أين انت.»

تنهدت ومدت يدها الى قطعة القماش على الطاولة الصغيرة ومسحت بذهول فرشاتها المطروحة هناك، الشيء الأكثر صعوبة في كل هذا بقاء ما قاله لوسيان بشأن كلايف في بالها.

لقد قال لها:«لن يعود، فكلايف قد هرب.»
بالطبع، هذه تفاهة. مما سيهرب كلايف؟ فهو بريء بقدر ما هي بريئة في كل هذه المسرحية المجنونة، من أين جاء لوسيان بقصته هذه بشأن احتيال كلايف مع القانون، هذا ان لم يخترعها هو بنفسه، وقد كانت اختراعا صافيا وبسيطا من البداية حتى النهاية.
خطرت في بالها فكرة اخرى وهي تغمس الفرشاة في مرطبان التربنتين وبدأت تمسح التلوين من المزاجة (مدية يمزج بها الرسام الوانه) كيف يمكن ان يكون احدهم قد رآها في متجر ريجينت بارك في حين انها لم تذهب قرب ريجينت بارك ابدا في حياتها؟ الأمر كله كان مؤامرة مدبرة.
وضعت المزاجة جانبا وقذفت بقطعة القماش بعيداً، ثم استدارت مرة ثانية لتحدق بتوسل بالهاتف. ارجو ان ترن، تمنت بصمت الا انه ما زال لا يجدي نفعا موضوعا هناك صامتا.
اختلست جنيفر النظر الى ساعتها. ينبغي عليها ان تذهب لترتاح، ليس هناك اصعب من الانتظار فهي منهكة بكل ما في الكلمة من معنى. كما انه يوجد هاتف قرب سريرها، وستسمعه في حال رن.
بدأت تفك ازرار رداء العمل وهي تتنهد. ما هذا اليوم؟ إنه من اسوأ الأيام التي بإمكانها تذكرها. فليس فقط انها اخبرت بكل انواع الاكاذيب عن كلايف واتهامه بجرائم لم يقترفها ابدا، فقد تبين لها ايضا

بوضوح ان هناك من يتجول في لندن يلوث اسمها.
تجمدت فجأة عند تلك الفكرة. لِمَ لم يتهيأ لها ذلك قبل الآن؟ خطت عبر الغرفة وهي تَنوح من الاضطراب، انتزعت دليل الهاتف بحثت فيه بسرعة، حبست انفاسها، واتصلت بلوسيان.
فكرة مفاجئة خطرت على بالها بينما جرس الهاتف يرن من دون أي إجابة. ربما لوسيان كان مع كارين لهذا السبب لا يجيب على الهاتف.
كادت ان تضع السماعة عندما اجاب قائلاً:«أجل؟»
مرة ثانية كادت ان تضع السماعة عندما اتى صوته جهوريا. لكن ما ان كرر بصوت اكثر حدة:«اجل؟ من المتكلم؟»
ضغطت على نفسها لتجيب:«هذه انا، جنيفر. لدي التماس منك... أريد الذهاب الى ريجينت بارك بأسرع وقت ممكن. غدا، لو استطعنا.»
«هل هذا عرض؟»
اكتشفت انه كان يضحك. تساءلت اذا ما كانت كارين تضحك، ايضا. قبضت بإحكام على سماعة الهاتف، تصارع لطرد هذه الافكار، مجبرة نفسها على التركيز على ما تقوله:«انه مهم، هل تأخذني الى هناك؟ ارجوك الا تقول لا.»
عم الصمت قليلا ثم قال لوسيان:«تعالي الى شقتي غدا صباحا وبإمكاننا مناقشة كل شيء بشأن ذلك.»
وأقفل الخط قبل ان يتسنى لها ان تقول شيئا.

وضعت السماعة جانباً، تحاول بجهد ان تشعر بالراحة، فقد بدا مستعداً للاهتمام بطلبها.

* * *

في الصباح كان لوسيان وجنيفر في فناء المنزل الكبير، يتناولان القهوة تحت اشعة الشمس.

لم تلتق بكارين، وهذا ما جعلها اكثر ارتياحاً. لانها وصلت متأخرة قليلاً عن البارحة. فكارين لديها الكثير من الوقت للخروج.

ضغطت على نفسها للتركيز على ما أتت من أجل إخباره به. قالت وهي تجلس في مقعدها:«لدي فكرة مفاجئة. ذلك الرجل في محل التحف في ريجينت بارك... اعرف بأنك تعتقد بأن التي قابلته كان أنا. لكن هذا لم يحصل. وقد بدا لي افضل طريقة لأثبت ذلك هي ان أذهب الى هناك وأقابله وجهاً لوجه.»

تحقق خوفها، فقد هز لوسيان رأسه قائلاً:«لا اعتقد ان ذلك ضروريا.فالرجل واثق تماماً انك كنت انت.»

«لكنه مخطىء! لست انا، ينبغي ان يكون احد يشبهني.»

«أوه، واحدة تشبهك، حسناً.» كان صوته ساخراً:«الطول نفسه، شعر اشقر، عينان خضراوان او زرقاوان..»

قاطعت جنيفر كلامه بانتصار:«ليس لدي عينان زرقاوان او خضراوان، عيناي خصراوان. خضراوان بتحديد تام.»

«حسناً، لم يكن واثقاً بشأن العينين... ما عدا انهما اما زرقاوان او خضراوان. الا انه كان جازماً بشأن الباقي. لقد تركت انطباعاً تاماً.»

حدقت مباشرة في ابتسامته:«يبدو انني فعلت. ما هو جدير بالملاحظة على الارجح، اعتباري لم اذهب الى هناك ابداً.»

«هكذا تقولين.»

«أقول ذلك لأنني لست انا.» هزت رأسها بعدم صبر:«هذا الوصف الذي اعطيتني إياه... هناك عشرات الآلاف من الفتيات لهن هذا الوصف.»

لزيادة دهشتها اومأ:«موافق.»

«إذا انت ترى، ليس من الضروري ان اكون انا، من الواضح تماماً انه مجرد شخص يشبهني.»

اومأ مجدداً، فشعرت بضعف قلبها في داخلها، هل هي فعلاً اقنعته بأنه من الممكن ان يكون مخطئاً؟

لكن بعد ذلك اومأ وهو يقول:«لكن اخبريني امراً واحداً.. هل هناك عشرات الآلاف من الفتيات في ذلك الوصف اللواتي يحملن اسم جنيفر وودستوك؟»

وبينما اختلست النظر باتجاهه اضاف قائلاً:«لا، باستطاعتي رؤية موافقتك معي بأنه في مجال التطابق فان هذا بحاجة الى بعض الجهد كي يصدق.»

أجل، انه بحاجة. ذهلت جنيفر:«اتعني انه ذكر اسمي؟»ان هذا على وشك ان يصبح مروعاً.

اشار لوسيان:«ليس ذلك وحسب، بل يعرف ايضاً

من أي قريةانت. بوضوح تام انت مجرد ثرثارة. لقد اخبرته كل شيء عن شقتك ومتجرك.» هز رأسه:«غبية.» ثم نصحها قائلا:«ان صممت على العمل في حقل الجريمة، عليك ان تتعلمي الكتمان اكثر. انني مندهش كيف ان صديقك لم يعطك بعض التعليمات المهمة.»

تقطع صوته قليلاً كالمعتاد عند ذكر كلايف، لكن بالرغم من ذلك، شعرت انه في حالة مزاجية اهدأ اليوم. فقد بدا اقل عزماً على التحدي. لربما قضى ليلة مريحة.

الا انها سرعان ما طردت هذه الفكرة بعيداً فلديها امور أهم بكثير لتفكر في شأنها.

نظرت إليه بجدية، ثم أجابت مدافعة:«خذني الى المتجر، دعني اقابل صاحب المتجر، وسرعان ما تكتشف كم انت مخطىء. ارجوك، ألا تريد الوصول للحقيقة؟»

«عرفت الحقيقة تواً.» كان ثابتاً. لكن قبل ان تعترض جنيفر مجدداً سألها، وعيناه السوداوان تراقبانها:«اذا، أين هو ما اسمه... شريكك وصديقك؟ هل يعتني بالمتجر؟»

رمقها بنظرة قاطعة عندما قال جملته الأخيرة وارتشف جرعة من قهوته. لم يصدق لحظة واحدة ان كلايف قد عاد.

ولسوء الحظ فقد كان على حق. مع انه ليس للاسباب

التي اقترحها. رمقته بثبات:«كلايف لم يعد.» تظاهر بالتعجب:«ألم يعد؟ كم هذا غريب. اتساءل ما الذي يشغله؟»

«لا أظن انه مشغول بأي شيء. على الأقل، ليس أي شيء اجرامي. حتما هو تعرض الى عمل طارىء لا يمكن تجنبه.»

«عمل طارىء. بلى، يبدو الأمر كذلك.» رمقها بنظرة ساخرة ثم أضاف:«كم هو عديم التفكير.»

حدقت به. فقد كان مستمتعا بشكل هائل. مع ان مرحه ازعجها، إلا انه قد طمأنها ايضا. البارحة، لم يكن يمازحها بشأن ذلك. كان يرسل سهاما تطن امام اذنها، اليوم يمكن ان يكون اكثر ليونة.

قالت له:«انا متأكدة بأن لديه تفسير جيد. هذه الأمور تحدث دائما. يطرأ عمل على الجميع.»

«لا يمكن تجنبه.»

«أجل، لا يمكن تجنبه.»

وبينما هو يبتسم، مرر يده في شعره واستجابة لدهشتها التامة ورعبها، وهي تحدق بشعره المجعد، سمعت جنيفر نفسها تقول:«كيف حال كارين؟ لم أرها هذاالصباح.»

نظر إليها نظرة غريبة ثم أجاب:«من الطبيعي ان تشعر كارين بأنها مخدوعة ومرتبكة تماما. فهي تريد المال الذي من حقها.» توقف لبرهة:«وأنا عازم على إعادة المال إليها.»

كان هناك اهتماماً في صوته. شعرت جنيفر بأنها ترتد قليلاً، وبحالة من التظاهر بالشجاعة قالت له:«كم انت قريب للنجدة سيدٍ غالاهاد!»

لم يجد لوسيان ذلك مضحكاً:«إذاً، لديك الوقاحة لتسخري من ذلك؟ أنا آسف، فأنا اجد ذلك مثيراً للشفقة.»

«سيكون ذلك مثيراً للشفقة لو كنت انا الطرف المذنب.» تحطمت للطريقة التي دافع فيها عن كارين. يبدو وكأنه يهتم لأمرها فعلاً.

إذاً ماذا؟ قالت لنفسها. لمَ أهتم؟ أجبرت نفسها على النظر إليه وسألته:«لهذا السبب علينا الذهاب الى لندن! لهذا السبب نريد رؤية صاحب المتجر. انه الوحيد الذي بإمكانه اخبارك بأنني لست أنا.»

نظر إليها مطولاً، وكانت تعابير وجهه غير مفهومة. فتابعت:«ارجوك، ماذا ستخسر؟»

«شيء واحد، الوقت. وأنا اكره إضاعة الوقت.»

«لكن هذا ليس مشكلة، ان كان ذلك ما تقلق بشأنه بإمكاننا الذهاب في يوم، نصف يوم! نصف ساعة! ليس على ذلك الشخص في المتجر سوى النظر إليّ ليعرف بأنني لست أنا من قابلها من قبل.»

بدا مهتماً فيما كانت عيناه ترمقانها. ثم قال بصوت هادىء:«لكن هناك ما هو أكثر من ذلك.»

«أكثر؟ كيف؟ ماذا تعني أكثر؟»

«صاحب المتجر لم يرك فقط، حتى انه لم يتحدث إليك وحسب. بل لديه توقيعك.»

«ماذا؟ ماذا تعني لديه توقيعي؟»

«بأحرف مختلفة وموافقات وأشياء. أظهرها لي وكان توقيعك بالتحديد.»

قالت بصوت ضعيف:«لا يمكنه أخذ توقيعي.» وشعرت كأنها تبكي.

«إذاً، ترين، الأدلة ضدك ساحقة. إستمرارك بالإنكار هو بلا جدوى. انا لم أتهمك ابداً منذ البداية لو لم أكن واثقاً.»

استدار لينظر إليها:«وهكذا انا آسف بأن أقول لك ان لا داعي لرحلة الى لندن. كما قلت، اكره إضاعة الوقت.»

شعرت بصدمة قوية. فقدت فجأة القدرة على النطق، حدقت فاقدة الحس نحوه بينما هو يبتعد.

كان يقول:«إذاً لقد عدنا من حيث بدأنا، عقد ايجار المتجر لن اجدده. سأصفي لك أعمالك.»

«تباً للعمل وتباً للمتجر.» فقدت السيطرة على نفسها، وثبت فجأة على قدميها، قذفت طاولة الخيزران بتهور في الفناء. كانت هناك اصوات تحطيم في الوقت الذي وقعت فيه فناجين القهوة محطمة الى قطع صغيرة على الأرض. «لا اهتم بشأن المتجر، ما آبه له هو سمعتي، لا أقدر على ترك ذلك. الناس تعتقد انني لصة. لن ادع ذلك مستمراً، اطلب الحقيقة لأبرىء اسمي.»

كان لوسيان واقفاً بصمت، نظرته مثبتة عليها بتحجر.

فكرت وهي ترتعش بأنه على وشك ان يقطعها ارباً الآن.

لكنها لم تهتم. لم تندم بشأن ثورتها، ما ندمت من اجله فقط هو انها لم تفعل ذلك من قبل.

قالتٍ له بتحدٍ:«لذلك اطلب ان تأخذني الى لندن فوراً.»

عم الصمت للحظة من جديد بينما استمر بمراقبتها، اعتقدت بكآبة انها قد أفسدت الأمور. فلن يوافق ابداً الآن.

وبينما هو يستدير لمتابعة خروجه من الفناء، شعرت وكأن قلبها قد هوى من مكانه. خسرت كل شيء. سوف تعتبر سارقة للأبد.

توقف بعد ذلك فجأة واستدار لينظر إليها ومع ان تعبيره كان متعذراً فهمه، فكلماته كانت واضحة تماماً.

«اذهبي الى المنزل وأعدي حقيبة لليلة واحدة. سأمر عليك بعد الغداء. سنذهب الى لندن.»

عادت الى شقتها الصغيرة، وضعت بعض الأغراض في حقيبة. بالكاد كانت تنتبه الى ما تضعه، كل ما انتبهت له هو ان قلبها كان يغني في داخلها، باطمئنان وفرح وإثارة لا يمكن السيطرة عليها. فبرغم ذلك قد وافق! ستكون قادرة على اثبات براءتها.

لا زالت تصدق بصعوبة ان هذا فعلاً ما حدث، قفزت داخل الفيراري الحمراء. قريباً سينتهي هذا

الكابوس، أخيراً، لديها الفرصة لتبرئة اسمها. لكن هناك فكرة أخرى تزعجها. كانت ذاهبة الى الشقة في ريجينت بارك حيث تبقى كارين. ولكنها شعرت رغم ذلك بالانتصار.

لذلك لم تهتم حتى ولو قليلاً فقط، فانها هذا المساء سوف تنهي الموضوع مع كارين - برغم ذلك كان من المضحك ان تفكر في أنهاء المواضيع، بأي حال! الحقيقة هي انها كانت تشعر بالدفء في كل مرة كانت تمعن فيها النظر الى حيث هي متوجهة.

كلما اقتربت اكثر، كلما زاد شعورها بالدفء.

ما ان لمحت بنظرة خاطفة منظر الأشجار الخضراء لريجينت بارك، حتى توردت تماماً.

الفصل السادس

بعد عدة دقائق توقفت السيارة الحمراء امام احدى الشقق الفخمة التي تطل على ريجينيت. عندها فكرت جنيفر، ان هذه هي الحياة.

اندهشت وسرّت بالثراء الذي رحب بها، تبعت لوسيان عبر الرواق المعلق فيه ثريات، وخطت نحو المصعد الفسيح. شقة لوسيان كانت في الطابق الأعلى. شقة فوق سطح المبنى... ماذا أيضاً؟ ما ان دخلا الشقة بعد لحظة حتى فغرت فاها.

«هذا مدهش. ليس لدي فكرة بأنك تعيش هكذا.» لم تكن قادرة على ايقاف الاطراء العفوي. نظرت حولها بإعجاب:«هذا رائع بالفعل.»

«هل اعجبك؟» لم يكن في سؤاله أي تواضع زائف. رأت ابتسامته وضحكت:«ما هو الغير جدير بالاعجاب؟» تبعته الى قاعة الاستقبال ذات الاثاث الفخم... مزج القديم والحديث بإطار من المهارة والذكاء... وخطت نحو النافذة المطلة على المنتزه. ثم استدارت نحوه وابتسمت له من فوق كتفها:«لا أمانع في إخبارك بأنني تأثرت كثيرا.»

كان واقفاً يراقبها:«انا سعيد بإطرائك. فكثيراً ما اخبرتك بأن ذوقك يعجبني.»

لم تستطع ان تخفي ابتسامتها، فقالت:«هذا

لأنه يتطابق مع ذوقك. فكثيراً ما اخبرتك بذلك.»

ابتسم مجددا:«بلى، انت على حق، يبدو اننا بالفعل قد ذكرنا ذلك كثيراً في أحاديثنا السابقة. هذا لأننا امضينا سابقا فترة طويلة معا.»

في الوقت الذي تلاقت نظراتهما، شعرت جنيفر بقلبها يثب هلعا. فكرت. إنني عرفته أكثر مما أعرف معظم الناس في حياتي. انه جزء من حياتي، لا سبيل للخلاص منه.

هذه الفكرة جعلت ابتسامتها ممزوجة بألم. نظرت في عيني لوسيان ثم اقترحت قائلة:«ربما، قدر لنا ان نكون مصدر قلق ومتاعب لبعضنا.» قالت ذلك من دون ضغينة.

اومأ لوسيان:«ربما.» استمر ينظر في عينيها للحظة. خطا بعدها نحو الجرس المعلق على الحائط خلفه ثم قال لها وهو يضغط عليه:«اقترح ان نشرب القهوة قبل ان نفعل أي شيء آخر.»

كم كانت رائعة كلماته تلك، ومراعية جداً، وكأنه يكره افساد هذا المزاج بينهما. لكن هذا لم يغير شيئاً، فقد شعرت بسهم مفاجيء من القلق. ان ما أشار إليه عندما قال:«أي شيء آخر.» هو زيارة متجر التحف الذي نجحت أخيراً في التكلم معه بخصوصه.

نبهت نفسها بسرعة، ليس هناك سبب كي اشعر بالقلق. كل ما سيحصل الآن هو ان براءتها ستظهر.

بعد مرور لحظة، ظهر رجل متوسط العمر:«أأنت

قرعت الجرس يا سيدي؟» كان على جنيفر اخفاء ابتسامتها في الوقت الذي كان لوسيان يخاطب الرجل. كان واضحا ان هذا الرجل هو كبير الخدم... وبمقدوره ألا يبدو كذلك لو حاول.

«نود ان نشرب القهوة يا روبرت من فضلك.» اختلس لوسيان النظر إليها ثم أضاف:«بالطبع الا إذا كنت تفضلين الشاي.»

«لا، افضل القهوة.» أشارت بموافقتها ثم خطت نحو إحدى الكراسي ذات الغطاء الذهبي المطرز قرب النافذة وجلست عليها.

كان شيئا عميقا ولطيفا، انها غالباً ما تتوارى عن الانظار، غالباً ما تمنت ان لا تكون كذلك.

استدارت قليلا اثناء انسحاب الخادم، واختلست النظر الى لوسيان.

«إذا، اين هو ذلك المتجر؟» غامرت بالنطق بصعوبة كي تتخلص من الحيرة المكبوتة:«هل هو قريب من هنا؟ هل سنستغرق كثيرا من الوقت للوصول إليه؟»

مست عيناه نظرة داكنة قاتمة للحظة، جعلت جنيفر تندم على تقديمها اقتراحاً لمناقشة الموضوع خصوصا في تلك اللحظة.

هز كتفيه فجأة لا مباليا وابتسم قائلاً:«انها عشر دقائق سيرا وعشرون دقيقة في السيارة. أنا آسف، ازدحام السير في لندن خانق.»

ابتسمت مجددا، شاعرة بالارتياح لحسن الدعابة

الذي أظهره. فجلست بارتياح اكبر في كرسيها وبدأت تنظر في انحاء الغرفة بسعادة.

قالت له:«لديك مجموعة رائعة من الرسومات.» انه الشيء الوحيد الذي جذب انتباهها عندما خطت في الغرفة:«هل ورثتهم عن والديك؟»

جلس بجانبها. قال لها بصوت هادىء:«لم أرث شيئا عن والداي، لا شيء سوى الديون.» تذكرت عندها وقد اضطربت كثيرا بسبب الارتباك. لم تعرف ابدا التفاصيل... ليس من شأنها... الا أنها تذكرت ما أخبرتها والدتها به، عندما توفي والدا لوسيان منذ خمس سنوات، فقد قتلا معا في حادث زورق بخاري سريع، وقد تركا خلفهما ميراثا معقدا. لم يكونا ثريين كما كانا يبدوان. في الحقيقة، كانا غارقين حتى اذنيهما في الديون.

هزت رأسها:«انا آسفة. هذا عملا متهوراً وأحمق.» بدا قلقا. هز كتفيه بلطف وهو يحل ازرار كمي القميص ليرفع الكم:«ليس هناك خطب. هذا لا يزعجني.» ابتسم ابتسامة ساخرة وتابع:«لقد حدث ذلك كله منذ وقت بعيد. لقد تجاوزت الصدمة.»

احست بذلك الندم الذي رأته في عينيه كلما تكلم عن والديه.

شعرت أنها تأثرت بذلك الى درجة ان ذلك فاجأها قليلاً. ابتسمت له، وهي تشعر بالاحراج:«أجل، اعتقد ذلك.»

«إضافة الى ذلك، لست مثلك، فأنا بالكاد اعرف

والداي، بالطبع، احببتهما، لكن طوال حياتي كانا كالغريبين. دائما كانا بعيدين في مكان ما. نادرا ما اراهما.»

بينما هو يتكلم، التقط لوسيان إحدى الصور ذات الإطار الفضي التي كانت موضوعة خلفها على الطاولة الصغيرة بجانبه. بلا شك هي صورة والديه، عرفت ذلك عندما اختلس النظر إليها ثم وضعها جانبا مرة ثانية.

قال مبتسما:«لا، العمة ميمي كانت عائلتي الحقيقية. كانت بمثابة والدة بالنسبة إلي.»

ضاقت عيناه عندما قال ذلك فعرفت بما كان يفكر. كانت افكاره تعكس كم يحتقرها بعمق لأنها خانت العمة ميمي مرتين، المرأة التي أحبها كثيرا. أول مرة بقصة العقد والآن مرة ثانية من خلال المتجر. العمة ميمي قد أجرتها المتجر بحسن نية، وقد استخدمته لجرائمها. فتحت فمها لتتكلم. اتضح فجأة انه عرف الحقيقة. وليس فقط الحقيقة بشأن الفخارة المزيفة... التي تحاول تبرئة نفسها منها... لكن ايضا الحقيقة بشأن العقد.

لكن قبل ان تقوى على الكلام فاجأها بقوله:«اتعرفين، لطالما حسدتك.»

«حسدتني؟» يا لهذه الشخصية المميزة!

«أجل، حسدتك. صدقيني لديك الكثير مما تحسدين عليه.» كان تعبيره صادقا الا أنه خال من الرثاء على

الذات. لم يكن لوسيان ابداً فريسة الشعور بالرثاء.

«انظري الى ما لديك.» تابع وهو يراقبها:«لديك كل الاشياء المهمة جدا.. عائلة رائعة قريبة ووالدان محبان، موجودان دائما تحت طلبك متى احتجت لهما.»

لم تقدر على انكار ذلك، لقد كان منعما عليها وهي تدرك ذلك. قطبت، بهدوء مبتعدة عن الارتباك أكثر من أي شيء آخر.

«لكنك حصلت... على اشياء أخرى كثيرة.»

«العاب وأغراض ثمينة، هل هذا ما تقصدين؟»

اومأت:«حصلت على دراجة سريعة وقد كانت مصدر حسد لكل الاطفال الآخرين. لم ير أحد مثلها في القرية.»

«أجل، أتذكر تلك الدراجة. اتذكر انني قدتها مرة فوق الجسر وجرحت ذراعي. والداي لم يعلما بذلك الحادث. لقد غضبا مني لتحطيم الدراجة.»

ضحك عندما قال ذلك، مع ان جنيفر ضحكت ايضاً الا أنها شعرت بانفجار من الألم والغضب لأجله. كم هو مروع ان يكون لديك والدان يهتمان بشأن دراجة اكثر من اهتمامهما بولدهما المصاب.

«وهكذا، ترين... لطالما اعتبرتك احد المحظوظين الذين اعرفهم في العالم.»

«اعتقد انني كذلك.»

فكر مجددا بما ينبغي ان يفكر فيه... كيف انقلبت إلى نحو سيء على الرغم من كل حسناتها... ومرة ثانية

شعرت بحاجة ملحة لإخباره الحقيقة بشأن العقد. لأجل ذلك، شعرت ان الصراحة اساس كل شيء. لكن ما ان فتحت فمها لتخبره، اسكتها بقوله:«اندهش لكون شخص مثلك له هذه الجذور الاجتماعية يتورط مع شخص مثل كلايف.»

«كلايف؟» عبست، فقد شعرت بصدمة غريبة لهذه المقدمة المفاجئة بشأن كلايف في حوارهما. شعرت بنفور تام. إنه ليس له علاقة في هذا النقاش، انه خاص بشأنها وشأن لوسيان. ولربما ان هذا هو الاثم الذي شعرت به عند ردة فعلها، بالإضافة الى النظرة القاسية المفاجئة التي ظهرت في عينيه، مما جعلها تقول له بحدة:«كلايف ليس من شأنك البتة.»

كان صوته قاسياً:«شكراً لأجل ذلك. كلايف ليس الشخص الذي آمل ان يكون من شأني.» رمقها بنظرة باردة وتابع:«ولا أحد غيره، ان كان ذلك يسبب أي ازعاج.» ابتسم وهو يقول:«ذوقك وذوقي متطابقان في التفاهات، الأمور الغير مهمة كالزخرفة. لكن للأسف هما بعيدان اميال في الامور المهمة... مثل من نختار او لا نختار، من اصدقائنا.»

فجأة، مع ذلك التصريح القاسي، محى كل الدفء والألفة بينهما. عرفت ان ذلك لا يعني شيئاً بالنسبة له. فالحديث الدافىء الذي دار بينهما، كان مجرد وسيلة لتمضية الوقت. كرهته لما سبب لها من الألم الشديد. شدت قبضتي كفيها نحوه بازدراء:«أوه، لكنك مخطىء،

انا اهتم فعلاً في اختيارٍ اصدقائي. لهذا السبب لا داعي لأن أخاف ابداً من أنني ربما اخترتك.»

مرة ثانية، لم تعد تهتم، ان كان يعلم بشأن العقد... أم لا. فقد كان متعجرفاً وسيئاً، الشيء الوحيد الذي اهتمت له هو تبرئة اسمها.

في تلك اللحظة فتح الباب وظهر روبرت دافعاً امامه عربة فضية.

اومأ قائلا:«قهوتك يا سيدي.»

«دعينا نشرب القهوة بسرعة ونذهب لعملنا، انا شخصياً لا استطيع الانتظار لرؤية ما يطرأ.»

كانت موافقة تماماً. فهي فقط تعرف ما سيطرأ، سوف تبرىء.

إذا لم تساءلت، هل تأثرت جداً عندما جلست في السيارة الحمراء وراقبت لوسيان يدير المفتاح لتشغيل السيارة جاعلاً المحرك يهدر للانطلاق؟ هناك نتيجة واحدة لهذه العجلة الى متجر التحف، وقد كان ذلك داعياً للبهجة، ليس القلق.

كانت تشعر بالانفعال من تصرفاته، أول دقيقة يبتسم لها، وفي الدقيقة التالية يثور غاضباً... مع ذلك بقيت تقول لنفسها بأن هذا ليس شيئاً جديداً، وأنه ينبغي عليها ان تتعود على ذلك منذ الآن، وجدت أنه من الصعوبة التغلب على ذلك.

لقد تعلمت أنه لا زال لديه القوة ليدمرها. ويبدو أنه لا يوجد شيء يمكنها ان تفعله لتحتمي فيه.

لكن وبجهد، بقيت ممسكة بزمام الأمور على الأقل ظاهريا. استدارت نحوه وهو يخفف من سرعة السيارة:«لقد فهمت بأنه كان يجب ان نذهب سيرا. على الرغم من ذلك، فأنت اخبرتني بأنها ستستغرق ضعف الوقت في السيارة... واعتقد بأنك تكره تبذير وقتك النفيس.»

تجاهل نبرة السخرية في صوتها وقال:«لا تقلقي، لن يبذر. سأستمتع بكل دقيقة عندما أجلس وأراقبك تحاولين بيأس تلفيق قصة ما تصون اسمك عندما نصل الى المتجر. أو هل تفكرين بواحدة جاهزة؟»

«لست بحاجة الى تلفيق قصة.»

حاولت استمرار النظر في عينيه، الا ان تلك النظرة القاسية في عينيه جعلتها تشيح بنظرها بعيدا. مع أنها تعلم بأن ما قالته كان صحيحا، شعرت بالاضطراب في داخلها يتزايد فجأة فهو يبدو واثقا من أنه سيوقعها في الفخ. هل من الممكن ان يعرف.. أمرا تجهله؟

المسافة الى الجانب الآخر من المنتزه اخذت الوقت نفسه الذي توقعه لوسيان. مما بدا بأنه لا يوجد أي وقت على الاطلاق لخوفها، كانا يقتربان امام متجر مطلي بطلاء أزرق وقد علق فوق الباب لوحة كتب عليها(بريني للفنون والتحف).

استدار لينظر إليها قائلا:«هذا هو. هل انت جاهزة؟»

امسكت فجأة بقبضة الباب:«بالطبع انا جاهزة، لم

أكن ابداً في حياتي جاهزة لأي شيء اكثر.» لكن قلبها كان يخفق بقوة في داخلها، مع انها لا يجب ان تكون، كذلك.

توجها عبر الرصيف نحو المحل. رن صوت جرس، مؤثرا قليلا في اذني جنيفر، عندها دفع لوسيان الباب ليفتحه ثم دعاها للدخول خلفه. فكرت جنيفر، ها قد حانت لحظة الحقيقة. رغبت فقط ان تشعر بالثقة اكثر قليلا.

كانت إمرأة جالسة خلف المنضدة، اقترب منها مبتسما:«آنسة جاميسون، انا لوسيان كينغسلي. لربما تذكرينني؟ جئت لأرى رئيسك ان كان هنا.»

من الطريقة التي نهضت بها الآنسة جاميسون من مقعدها مشرقة، كان واضحا انها تذكرت لوسيان فعلا. من الواضح أنه قام بتأثيره العادي المذهل.

مدت يدا مثقلة بالخواتم نحوه:«سيد كينغسلي! كم هو رائع ان اراك، لكن السيد ليس هنا، انا آسفة. فقد ذهب الى بات اليوم.»

شعرت جنيفر رغم توترها بخيبة أمل. هذا كان احتمالا لم تأخذه بعين الاعتبار. تنهدت في داخلها، شعرت انه خاب أمله ايضا. كان يقول للآنسة جاميسون:«متى تتوقعين عودته؟»

«سيعود الليلة متأخرا... وسيكون هنا في المتجر غدا.» ابتسمت الآنسة جاميسون وتابعت:«لربما بإمكاني مساعدتك؟»

همّ لوسيان بالانصراف، الا أنه توقف فجأة، مقطباً. ثم ابتسم:«من يعرف؟ ربما تستطيعين. انها بشأن هذه البومات الفخارية... والفتاة التي باعتها للسيد أيتكن...» اشار نحو جنيفر:«هل هذه هي؟»

«هذه الفتاة هنا؟»

في الوقت الذي تقدمت فيه الآنسة جاميسون للتحقق منها، شعرت فجأة كأنها في قفص الاتهام، لم يكن شعوراً تهتم له باستخفاف.

حدقت بها الآنسة جاميسون وقالت:«انا في الحقيقة لم اتحدث إليها ابداً. انا رأيتها مع السيد أيتكن في مكتبه فقط. الا أنني اعتقد بأنني القيت عليها نظرة كاملة.»

حدقت أكثر قليلاً، ثم استدارت نحوه وقالت:«أجل، تبدو وكأنها هي.»

«ماذا؟ ماذا تقولين؟ لم أكن انا.» خطت برعب لتواجه المرأة:«كيف يمكنك ان تقولي ذلك؟ لم أكن انا.»

ابتعدت الآنسة جاميسون، شاحبة قليلاً. الا ان تنبيهها لم يفعل شيئاً يجعلها تغير رأيها، وقد بدت في الواقع واثقة اكثر من أي وقت مضى بينما هي تخاطبه مجدداً.

«أجل، أود القول انها هي بالتحديد.»

«هذا هراء! خطت جنيفر خطوة أخرى باتجاهها، الا ان لوسيان مدّ يده وأمسك ذراعها.

قال لها:«شكراً لك، آنسة جاميسون، لقد كنت متعاونة

جداً.» بعدئذ وعندما استمرت جنيفر تتكلم بارتباك، أضاف:«اخبري السيد أيتكن بأننا سنحضر غداً صباحاً... هكذا يستطيع اثبات ما نريد تماماً.»

بعدئذ قالت السيدة جاميسون:«اتشرف لرؤيتك.»

«عمتَ مساء.» اشار بأدب، دافعاً جنيفر الى الخارج.

«هذا رهيب! كيف امكنها قول ذلك؟ لم ترني في حياتها من قبل قط.» كانت ترتعد متأثرة في الوقت الذي كان لوسيان يوجهها نحو السيارة. استدارت لتواجهه:«هل انت ادعيت ذلك أم ماذا؟»

حدق في وجهها الشاحب وقال:«لست بحاجة لادعاء ذلك. المرأة كانت تتكلم الحقيقة بوضوح تام.»

«لقد تكلمت بتفاهات.» اغضبها عدم تصديقها وحنقها واستياءها، كل ذلك بدأ يأخذها فجأة في كل الاتجاهات. شعرت وكأنها تبكي:«هذه المرأة بلهاء، واضح انها تعاني من الهذيان.»

«انها لا تبدو كالبلهاء بالنسبة لي، بل تبدو كشخص سليم تماماً.» اختلس لوسيان النظر إليها:«والآن اصعدي الى السيارة.»

حاولت جنيفر ان تفرّ منه:«لا، لن اصعد الى السيارة، انت ادعيت هذا الأمر كله، انك تحاول ان توقع بي، لطالما كرهتني. ان هذا انتقام رديء.»

تقدم لوسيان نحوها ثم حذرها:«لا تقومي بثورة غضب، فقط افعلي ما قلت لك واصعدي الى السيارة.»

«لا، لن افعل ما طلبت مني، ولن اصعد الى السيارة.»
كانت جنيفر غافلة عن المارة الذين بدأوا ينظرون باتجاهها:«سأرحل من هنا، لقد تعبت من الاعيبك هذه، سأعود الى القرية وليس باستطاعتك منعي.»
لكن قوتها لا تضاهي قوته، حتى في هذه الحالة. بهدوء، ولكن بقسوة، تابع لوسيان توجيهها نحو السيارة.
«لا، لن اذهب.»
كانت يده على قبضة الباب:«كفي عن ذلك، اصعدي الى السيارة فقط واهدئي.»
«لا، لن اهدأ، ولن اصعد الى السيارة.»
وفجأة، بدأت تهاجمه بضراوة.
سألته:«لمَ فعلت ذلك بي؟ لم لا تقدر على تركي وشأني؟ ما الذي فعلته لك؟ لمَ تكرهني؟ لمَ ؟ لمَ؟»
بعدئذ تنفست بعمق كل قوتها قد تلاشت واستَنزفت، وقفتْ هناك وتركت دموعها تنهمر على وجنتيها بيأس. فجأة تمنت لو أنها فقط تستطيع الاختفاء عن وجه الأرض.
قال لوسيان بهدوء:«اعتقد بأنه ينبغي عليك الصعود الى السيارة الآن.»
كانت يده على ذراعها.. يد مشجعة اكثر من مسيطرة.
بعدها مد يده، مسح دموعها بإبهامه بلطف شديد.
ثم قال بهدوء:«لنذهب الى المنزل، اصعدي الى السيارة.»
لم يعد لديها مزيداً من المقاومة جلست في مقعدها

ثم اغلق الباب ومشى لوسيان ليصعد خلف عجلة القيادة بقربها.
في طريق العودة الى الشقة لم يتفوه بأي كلمة. حدقت بحزن خارج نافذة السيارة. ماذا هناك لتقوله؟
عند عودتهما الى المنزل قررت الانسحاب من أمامه فقالت في اللحظة التي دخلا فيها المنزل من دون ان تنظر إليه:« اود الاستحمام، ان لم يكن لديك مانع.»
لم يكن لدى لوسيان أي مانع. قال:«سأنادي روبرت ليريك غرفتك.»
على الارجح كان التخلص منها لفترة راحة له.
بعد لحظة، ظهر روبرت، اوصلها الى غرفة مشرقة كبيرة، مزخرفة باللون الاصفر تشرف على المنتزه.
قال روبرت:«الحمام هنا آنستي.» وفتح الباب ليظهر حمام فخم ذو بلاط عليه زهرة الحوذان:«هل هناك شيء آخر تحتاجينه؟»
هزت رأسها:«لا شكراً.» وابتسمت له. استجابة لنبرة الاهتمام غير الزائفة في صوته. ضحكت له من قبل... ولو ان ذلك بغير قسوة... طمأنته:«سأكون بخير. حماما دافئا هو كل ما احتاج.»
بالطبع لم يكن هذا كل ما تحتاج إليه، لقد ايقنت ذلك. ما احتاجته وبيأس هو انتهاء هذا الكابوس.
هل كانت ضحية مؤامرة؟ هل ادعى لوسيان كل ذلك، كما اتهمته؟
اخذ عقلها يدور في دوامة. لم يكن ذلك مفهوماً.

لم يضع نفسه في مثل هذه المتاعب؟ هل هو فعلاً يكرهها الى هذا الحد؟

ابتلعت ريقها بصعوبة ثم اغمضت عينيها، كان هذا امراً من الصعب احتماله.

ثم فكرت بشأن كلايف. ألم يعد الى القرية بعد؟ يجب ان تتصل به، قررت ان تفعل ذلك حالما تنتهي من حمامها. ربما سيلقي الضوء على كل هذا الغموض.

اتصلت بشقة كلايف بعد حوالى نصف ساعة من الهاتف الموضوع على الطاولة بجانب سريرها ولم يكن هناك أي رد. وشيرين ليس لديها أي اخبار عنه عندما اتصلت بها الى المتجر. فقد بدا وكأنه اختفى. كان امراً غريباً بالفعل.

حدقت بتساؤل نحو السقف. غداً، ان جرت الأمور بشكل جيد، ستقابل السيد أيتكن وهو بقليل من التوفيق، سيبرهن ذلك بتعاون أكثر من مساعدته.

الا أنها لا تستطيع أخذ ذلك بعين الاعتبار. لا تستطيع أخذ أي شيء في اعتبارها.

سمعت صوت قرع خفيف مفاجيء على الباب، بعد ان استلقت مدة نصف ساعة، مستغرقة في تفكيرها. عرفت فوراً انه روبرت. فلوسيان عاجز عن الطرق على الباب بهذا الهدوء، احبت كثيراً هذه المقاطعة، لأن فكرها كان يزداد إرهاقاً، فتحت الباب، وهي تشعر بنفسها في دوامة.

بالتأكيد كان روبرت. ابتسم لها:«السيد كينغسلي

يسأل ان كنت تحبين الانضمام إليه. انه في قاعة الاستقبال لديه بعض الزائرين الذين يجب ان تقابليهم.»

نظرت جنيفر بدهشة:«زائرين؟» لِمَ يردها ان تقابل زائريه؟ لقد اعتقدت بأنه سيكون مسروراً لو التزمت غرفتها.

خطرت فكرة في بالها. لربما هؤلاء الزائرين لديهم امراً بشأن البومات الفخارية.

أشارت لروبرت:«سأكون هناك بعد خمس دقائق.»

خطت الى غرفة الاستقبال برأس مرفوع، وكان شعرها الرطب مسرحاً، مرتدية سروالاً قطنياً وبلوزة بلون عينيها. انتابها شعور من التفاؤل. الا انها علمت فوراً بأنها اخطأت.

المرأتان كانتا هناك لا علاقة لهما بالبومات الفخارية. فمتجر بريني للفنون والحرف لا يخصهما بلا ريب، بل هما على نحو اكثر يعملان لحساب غوتشي أو شانيل. شعرت وكأن قلبها يغرق في الوقت الذي خطت فيه الى قاعة الاستقبال، تمنت لو انها كانت أقل تحمساً لقبول الدعوة في الانضمام إليهم. لكن لا تراجع الآن. كان لوسيان يخطو نحوها ليقدمها لهما.

قال لهما:«هذه صديقة عزيزة لي. انا وجنيفر عرفنا بعضنا منذ سنوات الطفولة.»

ذلك الجزء الأخير كان صحيحاً تماماً. الا ان صديقة عزيزة كان مبالغاً فيه قليلاً! تعجبت كيف استطاع

الاحتفاظ بهدوء وجهه. لكن لوسيان كان بارعاً في هذه الأمور. ودت ان تظهر له بأنها قادرة على ان تكون لطيفة امامهما!

بعد لحظة صافحت المرأتين وجلست على احدى الكراسي ذات الغطاء المطرز. قالت وكأنها تعني ما تقول:«كم أنا سعيدة برؤيتكما.»

قالت جوسلين احدى النساء:«علمت انك رسامة، أي نوع من الرسم ترسمين؟»

ابتسمت وأجابت:«نوعاً من الحديث... لكن ليس تجريدياً. أحب رسم صور الوجوه. انا حقا احب رسم الاشخاص.»

اتفقت جوسلين معها:«انه اروع موضوع في العالم رغم كل شيء، ما الذي يمكن ان يكون اكثر فتنة من رسم الاشخاص؟»

ابتسم لوسيان وقال وهو ينظر اليها مرتبكاً بما يشبه الفخر:«انها بارعة.»

انه فعلاً ممثل بارع. ابتسمت له جنيفر ثم قالت:«شكراً لك.» لم تكن ممثلة بارعة. بعدئذ استدارت الى جوسلين وسألتها:«وماذا تفعلين انتً؟»

تفاجأت ان اللقاء اصبح ممتعاً جداً. اكتشفت ان جوسلين وصديقتها ساني، كانتا فعلاً فتاتين رائعتين. في غضون الساعة التي تلت، كان الحوار يتنقل بحيوية من الرسم الى انواع الطعام. وتطرقوا الى مناقشة كل الأمور تقريباً بينهم.

كانت هناك لحظة واحدة في البدء وجدت جنيفر نفسها فيها تضيع الوقت، فليس لديها شيء لتفعله معهما.

دخل روبرت الى الغرفة حاملاً إبريقاً من القهوة وما ان استدارت بسرعة لتبتسم له حدث ان وقعت عيناها على الصورة ذات الإطار الفضي. فتحجر قلبها في صدرها. حدقت بدهشة ثم نظرت مجدداً، لكن، لم تر الصورة التي كانت بالأمس.

لم تكن صورة والديه، كما اعتقدت جنيفر. كانت صورة للوسيان والعمة ميمي أخذت في حديقة العمة ميمي... ومعهم بعيداً عن التركيز في الخلف، كانت جنيفر، بالتأكيد هو لم يلحظ وجودها في الصورة.

اختلست النظر مقطبة باتجاه لوسيان وقد تفاجأت بما لا يمكن تفسيره. في الوقت الذي رفع عينيه ونظر في عينيها وغمز، اشاحت نظرها بارتباك متوردة.

«أمل ان نلتقي مجدداً.»

اومأت برأسها ولكنها عرفت انهما لن يلتقيا ثانية ابداً، هذا التفكر سينتهي حالما تغادر الفتاتان بعدئذ، وأخيراً، جو وساني كانتا تجمعان اشياءهما للمغادرة.

خطت عائدة الى غرفة الاستقبال بعد ان انتهى الوداع. ماذا الآن؟ كانت تتساءل في الوقت الذي خطا لوسيان داخلاً خلفها. كانت الساعة الخامسة فقط ولديهما الأمسية بكاملها لهدر وقتها.

«إذاً كيف تشعرين الآن؟»
استدارت اثناء مخاطبته لها. كان واقفاً قرب الخزانة الصغيرة المصنوعة من خشب الجوز، يداه في جيبه، لم تقو على تمالك نفسها... خفق قلبها بشدة عند رؤيته. بدا هناك شيئاً في عينيه بدا وكأنه يحاول الوصول الى اعماقها.
اجابت وهي تختلس النظر بعيداً عنه، محاولة طرد هذا الشعور من داخلها:«انا بخير. لِمَ تسأل؟»
«اعتقدت بأنه يجب ان تبتهجي بتمضية ساعة مع جوسلين وساني. لقد حضرتا فجأة بينما كنت تستحمين. اعتقدت بأنهما ستفرجان عنك قليلاً.»
عندها تذكرت جنيفر، شعرت ان وجنتيها تتوردان. لقد نسيت كل شيء تماما بشأن ثورتها باكرا. ابتسمت ابتسامة صغيرة ثم وافقته:«اعتقد بأنهما فعلتا.»
خطى خطوة باتجاهها:«جيد. انا مسرور لسماع ذلك. أكره رؤيتك متوترة الى هذا الحد. هل انت اكيدة بأنك على ما يرام؟»
«أجل، شكراً، لقد استعدت هدوئي.» كان اهتمامه مضطربا فسألت بإنزعاج ما الذي ايقظ اهتمامه. ليس مضطراً للتمثيل الآن، صديقتاه قد ذهبتا.
قال وهو يخطو نحوها:«انظري، دعيني اقترح شيئاً.»
فجأة اصبح يقف قريبا منها.
فكرت بأنه قريب جدا بينما هي تنظر إليه بصعوبة ثم سألته بصوت أجش قليلا:«أي اقتراح؟»

اجاب:«بما انه ينبغي علينا تمضية بقية الأمسية معا، وأنا حقا لا أريد ان اراك مضطربة مرة ثانية، اقترح ان نعقد هدنة.» تنفس بعمق وتابع:«دعينا لا نتكلم بشأن أي شيء، خصوصا بما يتعلق بالبومات الفخارية. ماذا تقولين؟ هل تعتقدين بأنها فكرة جيدة؟»
انها بالفعل فكرة ممتازة. اومأت جنيفر، تراقبه. البومات الفخارية هي آخر أمر تريد التفكير بشأنه. فجأة أصبح ما يملأ عقلها هي الطريقة التي ينظر بها إليها، العينان السوداوان ذات الاهداب الطويلة مرة واحدة اصبحتا لطيفتين ورقيقتين. احبت ما سببتهما لها هاتين العينين الداكنتين.
ابتسمت قليلا بارتباك ثم أجابت:«حسناً، نحن بالتحديد لا نريد قول كلمة بشأن البومات.»
«وعد؟»
«اعدك.»
«جيد. هكذا، هذا حاسم، إذاً؟»
استمرت بالتحديق به، وقلبها يضطرب في داخلها.

الفصل السابع

لا بد ان ذلك حلماً. هل لوسيان يقبلها؟ بالتأكيد! لكن، هل هذا حلم أم حقيقة؟

توردت خجلاً، بما تفكر؟ لقد سمحت لنفسها ان تنجرف بعيدا. ماذا دهاها؟ ماذا ستتوقع ايضا؟ لقد كانت حمقاء.

بينما استمر يبتسم لها، شعرت برغبة تجاهه، فجأة. بيأس تام ضعفت امام القوة المذهلة للعواطف التي تشبثت بها.

كان شعوراً مألوفاً، او على الأقل، قد حصل مرة، عندما لم تكن تعرف الافضل، عندما كانت طفلة بريئة.

ارسلت تلك الفكرة تدفقاً من المقاومة في داخلها. لقد قذفت العواطف الطفولية الضعيفة في داخلها، ولكن الآن ليس لها أي مكان في قلبها.

كررت بقسوة أكبر وبإقناع اكثر قليلاً من المرة الأولى:«لا، أنا بالتحديد لا اعتقد بأنك يجب ان تحاول ذلك مرة ثانية.»

خطت مبتعدة عنه، متأملة ان يقتنع بهذه الخدعة:«في الحقيقة، لقد وجدت ذلك بغيضا تماما.»

«بغيضاً؟ لم أظن ذلك ابداً. في الحقيقة انا اقول العكس.»

كم هو على حق... لكن ما هذه الجرأة لديه ليقول ذلك! ضغطت جنيفر على شفتيها استنكاراً ثم قالت له بشدة:«إذاً فأنت تخدع نفسك، ليس كل النساء يجدنك لا تقاوم، كما تعتقد.»

«هل هذا ما اعتقد به؟»

«هل تنكر ذلك حقاً؟» رمته بهذا التحدي بغضب ظاهر... مع ان الغضب الذي شعرت به كان من نفسها بقدر ما كان منه، لِمَ كانت تسعى لهذا النقاش الخطير؟ لِمَ لا تضع حداً لهذا الأمر ببساطة؟

لكنها لم تفعل. على العكس، أضافت:«انت تعتقد بذلك بأنه لا يوجد امرأة قادرة على مقاومتك.»

«ولا امرأة سواك، هذه هي الحقيقة. كنت دائماً تقاومينني.»

«اقاومك؟ أوه، لا، لم اكن مضطرة لمقاومتك.» ابتسمت برضى وهي تتابع هذا الجدل الممتع:«آسفة جداً لأنني اوقفت غرورك، يمكنك ان تغوي نساء الأرض جميعا، لكن هذه الواحدة لحسن الحظ، لن تغويها ابداً.»

ضحك وهز رأسه، من الواضح ان غروره لم يتوقف تماما. ثم اعترف، وهو ينظر إليها بأذى:«تلك لو امكنني قول ذلك، هي جنيفر المثالية.»

عبست بعدها متسائلة ماذا قصد بذلك بالتحديد؟

تابع شارحاً:«لطالما اعجبني اندفاعك المستقل، تحبين ان تفكري لنفسك، ان تسيري في طريقك

الخاص. ليس هناك كثيراً من الناس هكذا. هذا يشرح الكثير لك.»

توردت بسبب ذلك المديح العلني الذي لا تحتمله. ففكرت في ان هذه مفاجأة، هذا الاطراء غير متوقع، إطراء قيمتها الشخصية لم يكن امرا يسترسل فيه لوسيان. فأكثر ما سمعته منه هو الاتهام.

لكن مع ان وجنتيها خانتا مفاجأتها، لم تقل شيئاً. نظرت إليه ببساطة مثابرة على نظرتها قدر المستطاع وحاولت إخباره بعينيها انها في اعماقها، هي هادئة. فهي لا تستمع الى الاطراء الخاطىء. لأن ذلك كان خطأ. فهي تعرف ذلك، حتى من دون التفكير بشأنه فلوسيان غير قادر على الشعور بأي شيء ايجابي ناحيتها.

اختلس النظر فجأة الى ساعته، ثم قال:«عند هذه الملاحظة اقترح الاستعداد للعشاء.» دس يديه في جيبي سروالٍه ونظر إليها، رافعاً حاجبيه:«اقترح العشاء باكرا. حوالي الساعة السابعة، هل نكون جاهزين في خلال ساعة او حوالي هذا الوقت؟»

ماذا يخطط؟ عشاء ثنائي في أحد مطاعم لندن الفخمة؟ خطت جنيفر مبتعدة عنه. لا تريد المشاركة في ذلك، ثم قالت:«اعتقد انه من الأفضل ان احصل على وجبة عشاء مختصرة هنا.»

«انتهى روبروت من العمل مساء.»

«استطيع الطهو لنفسي. لا اريد شيئاً فاخراً. سأحضر عجة البيض.»

«لا، لا تحضري عجة البيض. لقد مضى وقت طويل منذ الغداء.» بدأ يخطو مبتعداً:«حاولي ان تكوني جاهزة عند السادسة والنصف.»

«انا حقا افضل عدم الذهاب. اذهب انت الى المطعم. ليس عليك الشعور بأنك ملزم فعلاً باصطحابي معك. فأنا قادرة تماما على اطعام نفسي.»

«نفسك المستقلة تلك التي ترتفع الى العالي مجدداً؟» توقف لوسيان ليبتسم لها علنا من فوق كتفه. بعدما ضيق عينيه السوداوين لها بنظرة لم تتحمل الجدل:«انت زائرتي وستأتين معي. كوني جاهزة بهدوء في غضون ساعة.»

تستطيع جنيفر ان تكون جاهزة في نصف ذلك الوقت. هل يتوقع ان تظهر بتسريحة شعر وعطر كإحدى صديقاته؟

نظرت الى صورتها المنعكسة في المرآة. لمَ يسبب هذا التعب لنفسه؟ لمجرد أنه يجب ان يكره فكرة العشاء من جميع النواحي بدرجة ما تكرهها هي. توقعت أنه فقط اصر على ذلك لأنها حاولت مقاومته. فلوسيان لم يلقَ المعارضة ابدا.

كانت بانتظاره في قاعة الاستقبال عندما ظهر مرتدياً سترة غير رسمية وسروالا وقميصا مفتوحا عند العنق.

قال:«هل انت جاهزة؟ لنذهب، إذن. ام هل تفضلين احتساء العصير؟»

نهضت وقالت بحدة:«لا.» بقدرٍ ما تعجل في البداية، ارادت أن تنتهي الأمسية باكرا. ليس لديها رغبة في ان تطيل ذلك.

«جيد. بإمكاننا تناول بعض العصير قبل تناول الطعام هناك.» كان لوسيان يوجهها عبر الرواق باتجاه الباب الخارجي. نزلا الى الطابق السفلي، ثم الى الدرجات المرصوفة متجهين نحو الطريق.

كانت الفيراري متوقفة هناك، قال لها:«أود ان اذهب سيرا الا إذا كنت تريدين القيادة بالطبع؟»

بابتسامة خجولة اختلست نظرة على السيارة الحمراء المتوقفة عند حافة الطريق بمجرد فكرة الجلوس خلف عجلة القيادة لتلك السيارة وسط ازدحام لندن الشديد كان كافيا لأن يجعلها مغفلة.

رمت لوسيان بابتسامة وقالت:«لا. شكراً.» قالت ذلك مدركةٍ ان عرضه كان مجرد نكتة بأي حال. «انا، ايضا افضل الذهاب سيرا.»

ذلك لأن اخذها الى مطعم ايطالي رائع، يبعد خمس عشرة دقيقة سيرا عن الشقة، هو من نوع الأماكن العامة الصغيرة التي احبتها. بالأحرى لقد كانت مسرورة لأنها لم تبق لإعداد عجة البيض في المطبخ.

بدأ يذكرها:«لقد اتفقنا على عقد هدنة، اتذكرين؟ إذا أنهيت عبوسك لن اغضب منك.»

هل كانت عابسة؟ نظرت بدهشة وقد استنتجت

بتردد،الحقيقة هي انها كانت تفكر، ان وجودها معه بدا امرا طبيعيا.

اومأت مبتسمة بهدوء:«حسناً، سأوقف عبوسي.»

بدأت الامسية بمزاج خال من الهموم، جعلها تستمتع بقصصه المسلية عن مغامراته المتنوعة حول العالم.

طرحت عليه سؤالها بمرح:«ألم تضل سبيلك ابداً؟ لو أنني كنت اتجول حول الكرة الأرضية بالنسبة نفسها، التي تقوم انت بها، اعتقد أنني سأنتهي حائرة كليا.»

نظر إليها:«لا، لن يصيبك ذلك. سوف تستمتعين، وأنا واثق بأن ذلك سيزودك بإلهام لرسوماتك.»

«ربما.» وافقت مخفضة عينيها قليلا. لطالما تمنت ان تكون قادرة على رؤية مناطق اكثر من العالم وتمنت ان يجني لها المتجر اموالا طائلة. الآن طبعا، ستضع كل هذه الامنيات السخيفة خلفها. ستكون محظوظة لو استطاعت دفع فواتير البقالة الآن، لم تقلق بشأن اطلاق العنان لأيام العطل.

الا أنها لم تقل ذلك. لأنه سيفسد الجو. قالت عوضاً عنه:«على أي حال، يبدو أنها قد اوحت لك. لا احد يستطيع التذمر بشأن الطريقة التي تسير بها اعمالك.»

«لا، اعتقد لا.»

«أود القول انه بالتحديد لا.» اختلست النظر إليه بإعجاب صادق. لا يصل اناس كثيرون الى ما وصل

إليه لوسيان... من ضمن ذلك الشقة في ريجينت بارك والسيارة الفيراري الحمراء، ثم وجدت نفسها تضيف، بدون سخرية:«لطالما عرفت بأنك تعمل جيداً. لم أشك في ذلك دقيقة ابداً.»

«ثقة هائلة.»

«لِمَ لا؟» ابتسمت في الوقت الذي قالت ذلك، وكان يبتسم، ايضاً، وفي عينيه مرح دافىء. عندئذ لم تستطع مقاومة ذلك. تذكرت ادعاءه فحاولت ازعاجه:«لعلك لم تكن الشخص الوحيد المؤهل لاصدار الحكم على الشخصيات.»

ضحك لوسيان عندها، جاعلاً جنيفر تضحك، وما ان التقت عيناهما حتى شعرت بانتعاش غريب وكأنه من الطبيعي ان يشعرا براحة برفقة بعضهما. جعل ذلك جنيفر تتساءل، بسرعة، إذ لم يكونا دائماً كذلك وأنها هي التي تتوهم هذا التنافر.

لكنها كانت تركز كثيراً على الوقت الحاضر لتتوقف. ما ان جالت عيناه عليها، اضافت:«برغم ذلك، كان لدي سنوات عديدة لأراقبك.»

«إذاً، أهذا ما كنت تفعلينه عندما كنت تجلسين في الزاوية، متظاهرة بالرسم على دفتر الرسم؟ هل كنت تراقبينني بإمعان؟»

«أجل، كنت اراقبك.» اتكأت الى الوراء في مقعدها ومالت برأسها إلى جهة واحدة:«كما قلت لك دائماً انك ذهبت بعيداً بأفكارك.»

«لا بد وأنك وجدت ذلك مريحاً.» الآن بدأ هو بإزعاجها.

«اتخيل انه كلما بعد المكان الذي فكرت أنني اقصده. كلما كنت اكثر سعادة.»

كثيراً ما انكرت جنيفر ذلك. لأنه بعيد عن الحقيقة. كان هناك وقت اعتقدت انها ستموت ان لم تر لوسيان مرةً ثانية. لكنها احتفظت بذلك لنفسها وقالت عوضاً عن ذلك:«اعتقدت ان ذلك في دمك، ميراثاً من والديك... الرغبة في التنقل المستمر.»

ندمت على طريقة تفوهها بهذه الكلمات. بدت نظرة تومض خلف عينيه.لكنه ابتسم:«يمكن ان تكوني على حق. انا فعلاً احب السفر الا انني دائماً سعيد عندما اعود الى لندن. انها مدينة رائعة. غالباً ما تمنيت تمضية وقت اطول هنا.»

فاجأها ذلك قليلاً. رمقته بنظرة مزعجة:«ذلك يعبر بارتياب وكأنك تريد تثبيت جذورك. لطالما كنت الجوال الاصلي.»

ابتسم وقال لها:«حقاً؟حسناً، لربما كنت كذلك. ربما أنا الآن في ريعان شيخوختي.»

قهقهت جنيفر:«حتماً لا. قطعاً لا تبدو عليك أي دلائل.»

ابتسم ونظر في عينيها للحظة، بطريقة جعلت قلبها يخفق بسرعة مفاجئة.

ابتعدت فجأة مرتبكة كلياً، وتظاهرت بأنها تختلس النظر حولها الى المطعم المزدحم:«هذا مكان ممتاز. لقد أعجبني فعلاً.»

«انه المفضل لدي. عندما اكون في لندن آتي الى هنا.»
«أجل، لقد حزرت ذلك.» حاولت النظر إليه. لكن بتردد شديد ابعدت عينيها مجدداً:«واضح ان كل النادلين يعرفونك.»
فجأة ما ان قالت ذلك، حتى خطرت لها فكرة جديدة. هل احضر كارين الى هنا؟ جعلتها تلك الفكرة ترتجف فوراً. هل كارين هي السبب في رغبته المفاجئة للمجيء الى هنا؟
توترت وقالت لنفسها، كفى. لا يهمني ما يقوم به لوسيان وكارين.
وضع لوسيان سكينه جانباً ونظر إليها ثم قال:«إذاً اخبريني بشأن رسمك، ما الذي تعملينه الآن؟»
انسجمت بذلك، مسرورة لتغيير الموضوع:«انني ارسم صورة لوالدتي. ارسمها في الغالب نقلاً عن صورها، مع انها قد جلست مرتين أمامي في المراحل الأولى.»
«هل انت مسرورة بذلك؟»
اومأت:«سعيدة الى حد بعيد، لقد جربت بعض الاجنيفرب التقنية وقد بدا انها فعالة.»
«هل ستبيعينها عندما تنتهين او تودين الاحتفاظ بها؟»
ترددت قليلاً، تفكر في الرد. ثم فجأة وكأن يداً باردة وضعت على قلبها، وجدت نفسها تفكر بكارين مجدداً.
وبصوت يمكن ان يوصف على أنه عدائي، قالت

له:«محتمل ان ابيعها، لقد حصلت على مشتري. الفنانة المكافحة لا ينبغي ان تكون عاطفية.. خصوصاً عندما تنتزع منها فجأة مصادر الدعم البديلة.»
ردة فعله كان النظر إليها بثبات:«لكن هذا بالتأكيد ما تريدينه حقاً، على أي حال... للتفرغ الى الرسم.»
ذلك دليل كامل على رباطة الجأش. كان مدهشاً حقاً.
لم تكن جنيفر واثقة من احساسها، اتشعر بالغضب ام بالاعجاب، فأجابت من دون اي تعبير:«بلى، اعتقد كذلك.»
لطالما كان ذلك طموحك... على الاقل، هذا ما فهمته. وبرأيي ان أي عمل آخر سيكون مضيعة لذلك الطموح.»
«تقصد أنك قد اسديت لي خدمة بحرماني من المتجر؟» كبتت اعجابها بشكل نسبي. وشع غضب مطبق من عينيها الخضراوين:«ربما تعتقد بأنني يجب ان أكون ممتنة؟»
ابتسم وأجاب:«ربما ينبغي ان تكوني. ربما في السنوات القادمة ستكونين ممتنة.»
وقاحته كانت هائلة، كانت مهينة، جارحة، قاسية يصعب وصفها. ضاعف ذلك عندما اضاف قائلاً:«لطالما تعجبت انك اخترت فتح متجر في المقام الأول.»
«انت؟ اعتقدتك اخبرتني بأنك تعتبر ذلك المتجر جديراً بالاعجاب.» رمقته بنظرة مستنكرة من الواضح أنه

نسي بأنه قد اخبرها ذلك. نظرت في عينيه:«أو، هل كان ذلك كذب؟ فقد وجدته جديرا بالإعجاب، لكنني وجدته ايضا الى حد ما مستغربا. كان نوعا من التحرك الحذر توقعته من شخص آخر.»

ابتسم:«اعتقدت ان جنيفر التي عرفتها أكثر جرأة.»

صمتت للحظة، أجل، لقد كان تحركا حذرا. كانت مدركة ذلك عندما قامت به. لكن لديها أسبابها.

نظرت الى لوسيان بضيق:«لم أكن مستعدة للبدء بالتفرغ للرسم. عندما تركت المدرسة الفنية، كنت لا أزال اكتشف طريقي... اسلوبيا... ابداعيا عرفت انني بحاجة الى مزيد من الوقت.»

كان يراقبها، مصغيا باهتمام. تابعت، مع أنها ارتابت بأنه غير سعيد حقا:«إضافة الى ذلك، شعرت ان المتجر يمكن ان يكون سوقا جيدا لرسوماتي ربما اخيرا، احوله كليا لبيع اعمالي.»

«وكلايف يقوم بالبيع؟»

«أجل، تلك كانت الفكرة.» شعرت باضطراب غريب للطريقة العرضية التي ادخل بها كلايف الى النقاش. ما هو الاثم الذي ارتكبه؟ تساءلت بسرعة. كلايف يبعد اميالا عن آمالها.

تابعت:«الفكرة كانت ان اترك المتجر وأكرس كل وقتي للرسم. وكلايف يدير المتجر على طريقته.»

«لقد فهمت. خطة متقنة.» اومأ برأسه. نظر إليها عبر المائدة لبرهة طويلة:«لكنني واثق انك لست

بحاجة لكلايف ليبيع لك رسوماتك، فأنا واثق بأنك تستطيعين فعل ذلك على طريقتك.»

تعمدت عدم الإجابة، هل كان يحاول ان يقنع نفسه أنه حقا لم يسبب لها أي ضرر؟

مع ذلك لِمَ يجب عليه فعل ذلك؟ فقد أراد لها الاذى فهو واثق بأنها سارقة وكاذبة.

شعرت بسهم مفاجيء من الألم في قلبها. كبتت شعورها، لقد سببت الغضب لنفسها:«ان فعلت ذلك أم لا فلن يكون هناك امتنان لك. ان لم يكن لديك مانع، فأنا افضل حقا ألا اناقش ذلك، فأنت مستمتع على أي حال، وهذا يروق لي تماما.» اتكأت الى الوراء في مقعدها.

في تلك اللحظة اتى النادل لأخذ الصحون. أخذ قلبها يخفق بقوة ممتنة لهذه المقاطعة. هذا التغير المفاجيء للواقع القاسي قد أحزنها اكثر مما ينبغي ان تحزن.

قال بهدوء:«هل تريدين بعض الفاكهة او الحلوى؟»

فكرت:انه لم يتأثر بعاطفتها، ولن يتأثر؟ فقد كانت محقة فهو لا يهتم. رفضت قائلة:«لا، شكرا.»

«انا ايضا اعتقد بأنني لا اريد. ما رأيك بالقهوة؟»

هزت رأسها مجددا، مسيطرة على انفاسها. فجأة، كل ما ارادته هو الذهاب من المطعم، متحررة منه، حتى تستطيع التفكير بشيء سليم.

سمعته يقول بارتياح:«أجلب لي الفاتورة، من فضلك.»

رأته بطرفٍ عينيها يمد يده الى محفظته. لأول مرة، فعل تماما كما رغبت. فتنهدت باطمئنان.

عم صمت فعلي خلال العودة الى الشقة. وقد سارا بعيدين عن بعضهما قدر الامكان. اقتربا من واجهة المبنى، مرة ثانية، بصراحة تامة، صارا عدوين.

حين دخلا الشقة، استدار نحوها وسألها:«هل تريدين تناول بعضٍ المرطبات قبل الذهاب للنوم؟» لكن صوته كان قاسيا، واستطاعت ان ترى في عينيه عدم رغبتهٍ في ان تقبل عرضه. فقد كان مثلها متشوقا جدا لإنهاء الامسية؟

هزت رأسها بلطف:«لا، سأذهب مباشرة الى الفراش.» ثم اضافت بأدب:«شكرا على العشاء.»

«لا تشكريني على ذلك، نامي جيدا.» استأذنها بالانصراف:«سأراك في الصباح. لدينا اعمال، اتذكرين؟»

«أوه، لم انس.» التقت عيناهما قليلا، خشية ان يفكر للحظة واحدة انها الأقل خوفا من لقائهما الموعود مع صاحب المتجر:«لا تقلق، سأستيقظ باكرا مبتهجة.»

بعدئذ ما ان تحرك باتجاه قاعة الاستقبال، حتى استدارت وتوجهت الى غرفتها.

لم تكن خائفة من ذلك اللقاء غداً، قالت ذلك لنفسها في الوقت الذي استعدت فيه للنوم. متوترة، أجل. هذا الأمر كله جعلها تتوتر، لكن ليس لديها سبب لتكون خائفة.

اندست بين الاغطية وحدقت نحو السقف. على العكس تماما، لديها سبب كامل للتطلع للغد. هل بالتأكيد هذا اللقاء مع السيد أيتكن سيبرىء اسمها اخيرا.

حاولت التركيز على تلك الفكرة في الوقت الذي اطفأت الضوء. تلح على نفسها للشعور بالهدوء والبرودة، والايجابية، لديها سبب تام للشعور كذلك ولا سبب للشعور بغير ذلك.

بعدها، ما ان حدقت في الظلمة، ثقل قلبها، امتلأ عقلها فجأة بالارتباك كيف يمكن ان تكون إيجابية؟ ربما قد ادعى لوسيان ذلك لها. ربما غدا عندما يسيران الى المتجر، تكون ردة فعل السيد أيتكن كمساعدته. تحركت بضيق وقلق، ربما لديها سبب وجيه لتكون خائفة.

لكن لم تكن هذه هي الافكار الوحيدة التي كانت تحتشد في رأسها.

تدفقت الدموع من عينيها عندما ضغطت بوجهها على الوسادة واستمرت تقول لنفسها:«انا لا أهتم.»

* * *

تناولت فطورها في الصباح التالي وحيدة في غرفة الفطور المشرقة التي تطل على الحديقة المغطاة بالأزهار، فلقد اخبرها روبرت، ان لوسيان قد تناول بعض الطعام منذ بعض الوقت.

إنه متشوق جدا بلا شك لمرافقتي لمتجر التحف حالما

امكن، فكرت بقليل من التوتر وهي تمسح قطعة من الخبز المحمص بقليل من العسل. لا بد وأنه بغاية الشوق لرؤية السيد أيتكن يشير بأصبعه باتجاهي وبالطبع هو لن يفعل إلا إذا كان لوسيان قد دفع له.

في تلك اللحظة ظهر لوسيان في المدخل:«هل ستكونين جاهزة للذهاب في غضون نصف ساعة؟»

شعرت بقلبها ينبض بسرعة وبسهم مفاجيء من الألم يمزقها ما ان نظرت الى وجهه.

قالت، وهي تحاول ان تكون قاسية:«أجل، استطيع ان أكون جاهزة متى اردت.»

«حسنا. نصف ساعة. سأتركك لتكملي فطورك بهدوء.»

ما زال يتصرف بذلك الأدب لكن بأسلوب مختلف عندما تقابلا بعد نصف ساعة في الرواق، قال ببساطة:«لنذهب، السيارة متوقفة تحت.»

اختلست النظر إليه. وهو يجلس بجانبها في الفيراري. تصرفه الغريب هذا جعلها تتوتر اكثر. ربما فعلا قد لفق امرا على أي حال.

استغرقت المسافة للمتجر عدة دقائق. فكرت بقليل من القلق،وهما يتوقفان امام المبنى ذات الواجهة الزرقاء بأنهما قد وصلا سريعا جدا، ثم خرجا من السيارة وسارا عبر الرصيف، لوسيان في المقدمة، جنيفر خلفه وشعرت بالدوار فجأة.

فتحت الآنسة جاميسون لهما الباب. تمتمت:«صباح الخير سيد كينغسلي.» وهي ترشدهما للداخل.

ثم اضافت:«تفضلا معي. السيد ايتكن ينتظر.»

بعد مضي لحظة كانت تقودهما الى المكتب خلف المتجر.

بدأ يزداد قلقها فجأة. وقد بلغ ذروته في الوقت الذي تمتمت المرأة:«تفضلا بالدخول.» خفت خفقات قلبها ما ان فتح الباب فجأة، وخطت الى الداخل على ساقين مرتجفتين.

هناك أمر واحد للتأكد، قالت لنفسها بتوتر، في الوقت الذي نهض أيتكن وراء المكتب واقفا. لم تقع نظراتها عليه من قبل. لكن موضوع الخلاف كان بالطبع ما لديه ليقوله. خفق قلبها ما ان حدق في وجهها.

بدا وكأنه دهرا. لكن بعدئذ، ابعد نظره ببطء عن وجهها، ثم خاطب لوسيانً مباشرة، قال ببساطة تامة:«لا، هذه ليست الفتاة.»

تنفست الصعداء. استدارت نحو لوسيان. إلا ان عينيه كانتا على أيتكن:«هل انت واثق تماما؟»

أشار السيد أيتكن بحزم:«لا يمكن ان اكون أكثر ثقة. الشعر نفسه وكذلك الطول والشكل الخارجي. لكن هذه ليست هي. انها مختلفة كليا.» توقف واستدار ليبتسم لجنيفر:«لأمر واحد، ان هذه السيدة الشابة أجمل بمقدار غير محدد.»

ابتسمت. لم تستطع السيطرة على نفسها. أخيراً اصبحت بريئة من كل الجرائم التي اتهمها بها لوسيان. هذا اروع شعور في العالم. وكأن حملا

ثقيلاً أنزل عن كتفيها. شعرت فجأة وكأنها ستثب فوق المكتب وتحتضن السيد أيتكن.

أمر آخر، جعل فؤادها يتوهج ايضاً. نظرت الى لوسيان، والارتياح يفيض في نفسها. هو لم يلفق ذلك، على أي حال. لم يدع مجالا للشك بشأنها. ممكن أنه ما زال يكرهها، لكنه لا يكرهها كثيرا.

قال لوسيان:«انني مدين لك باعتذار.»

بعد مضي عشر دقائق، استأذنا السيد أيتكن بالانصراف واعتقدت جنيفر، انهما عائدان للشقة. الا ان لوسيان كان يستدير لمواجهتها اثناد إدارته للمحرك. قال مجددا:«انا مدين لك باعتذار. كيف يمكنك ان تسامحيني من أجل هذا؟»

«لا اعرف.»تلك كانت الحقيقة. نظرت الى وجهه وتبينت الصدق الذي ينبعث من عينيه.لكن هناك امرا آخر ايضا، أمر جعلها تحتار. علقت قائلة وهي تضيق عينيها:«انك تأخذ الأمور كلها بهدوء كبير. فأنت لم تحرك جفنك هناك في مكتب السيد أيتكن.»

كان ذلك صحيحاً. فتعبيره طوال المقابلة الوجيزة، لم يتغير ولو قليلا. لقد بقي هادئا وصادقا ومتحفظا كما كان عندما وقعت عيناها عليه في الصباح. نظر إليها الآن وبيّن لها السبب.

قال لها بصوت صريح:«لقد عرفت سابقاً.»

«عرفت ماذا؟»

«انك لم تكوني انت.»

سألته بتعجب:«ماذا تعني انك عرفت بأنني لست أنا؟ هل تحاول إخباري انك تعلم منذ البدء؟»

«ليس منذ البدء. لا. تمنيت لو عرفت. لكنني عرفت منذ الساعة الثامنة صباحا. كنت على وشك الاقتراح بإلغاء مقابلة السيد أيتكن. لكن بعدها قررت ممكن ان يكون افضل لو ذهبنا للقائه... فقط لمجرد التأكد.»

«للتأكد بشأن ماذا؟» استدارت باتجاهه. ماذا يجري؟ كان يتكلم بالألغاز.

«للتأكد من ان معلوماتي صحيحة... مع أنه عليّ القول بأنني أكيد الى حد ما انها كذلك.»

سألته باستغراب:«هل تمانع في إخباري عمّ تتكلم؟»

«لن يعجبك ذلك.»

راودها هذا الشعور سابقاً. كان هناك أمر بخصوص النظرة المتحفظة في عينيه والتي جعلت قلبها ينقبض.

قالت له بصوت أجش:«لم يعجبني شيئاً من ذلك كله حتى الآن... لذا ليس عليك القلق بشأن ما ستخبرني به. بدأت الاستعداد لتلقي الصدمات الرديئة.

لكنه ما زال مترددا:«هذه المرة بخصوص كلايف. كلايف وفتاة اخرى.»

لم تتوقع ذلك. أشاحت بنظرها قليلاً:«كلايف وفتاة أخرى؟ ماذا تعني فتاة اخرى؟»

«ربما يجب ان اقول الفتاة الأخرى.» اخذ لوسيان

نفساً عميقاً:«تلك التي قابلها أيتكن. الفتاة التي انتحلت اسمك. وصلتني معلومات اين يمكن ان يكونا هي وكلايف. لو احببت، نذهب سويا ونتحقق من الأمر... او بإمكاننا ترك الأمر كله للشرطة.»
جاهدت لاستيعاب ذلك. خفقات قلبها تتسارع. قالت له:«اين يفترض ان يكونا؟»
«في هايغات، ليست بعيدة، الأمر عائد لك ان أردت، يمكننا الذهاب... القرار لك.»
كان التعاطف الذي رأته في عينيه هو سبب قبولها الذهاب.
«حسناً.» كان صوتها اجش، مع ان قلبها بالكاد كان يخفق. لقد قالت انها زادت استعداداً لتلقي الصدمات الرديئة، الا أنها لم تكن واثقة تماما ان كانت جاهزة لهذه الصدمة، ضغطت على نفسها لتضيف:«لنذهب الآن. مباشرة.»
«هل انت واثقة؟»
«نعم.»
ليس لديها فرصة لتغيير رأيها. وسارا بعيداً عند حافة الطريق، متوجهان نحو شمال لندن، والحقيقة اخيراً.

الفصل الثامن

«ان بدلت رأيك بإمكاننا العودة.» تكلم لوسيان فجأة في الوقت الذي تغلب على ازدحام السير:«هذا ليس متأخرا جدا وبإمكاني تفهم الأمر.»
مرا أمام إشارة مكتوب عليها هايغات على بُعد نصف ميل.
اصبحت امعاء جنيفر ككتلة من الحجر في داخلها. فقد كانت امعاؤها تحثها لأن تقول، حسنا لندع ذلك للشرطة، إلا انها ضغطت على نفسها لتهز رأسها. اجابت بصوت أجش:«لا، اريد الذهاب. اريد مواجهة ما يجري وجها لوجه بالضبط. لقد كنت المتفرج الجاهل في كل ذلك لمدة طويلة.»
كانت تدرك ذلك، عندما تكلمت، كان صوتها يرتعش، شعرت بنظرة لوسيان المتعاطفة باتجاهها. الا انها لم تنظر إليه، لم تقو على تحمل لقاء نظراته. ولا على تحمل رؤية أي شيء... لكن بوضوح ليس عيني لوسيان المشرقة، الحادة.
شعرت بالتخدير التام داخلياً، ما ان قاومت لمسك زمام الأمور بالنسبة للحقيقة المذهلة التي بدأت تتضح لها تدريجيا. عرفت ان الأسى الذي تشعر به كان يشع من عينيها. شعرت ان انطباعها، كان رهيبا وممزقا. لم يكن لديها رغبة في كشف تجردها العاطفي له.

«ها هي.»
فجأة كانا يعبران شارعاً من الضواحي ولوسيان قد خفف سيره وأمعن النظر الى أرقام المنازل. ثم أشار وهو يقترب بمحاذاة الرصيف:«انه ذلك المنزل ذو البابِ الأخضر والسيارة الفولفو الرمادية المتوقفة خارجا.»
السيارة هي لكلايف. عرفتها فوراً. خفق قلبها بشدة عند رؤيتها. قالت مجبرة نفسها على الاعلان بهدوء:«أجل، يبدو وكأنه في الداخل.»
مدت يدها الى قبضة الباب. ثم سألته:«هل تنتظر هنا؟ لا أعرف كم سأبقى، ليس طويلا على ما اتوقع.»
«سآتي معك، لن اسمح بدخولك بمفردك الى هناك.»
استدارت لمواجهته:«أوه، ينبغي ان ادخل بمفردي، هذا خاص بيني وبين كلايف. لا أريدك ان تأتي معي.»
اجابها:«اعتقد بأنه يجب ان ادخل. لست واثقا بأنك تستطيعين تدبر ذلك بمعرفتك.»
لم تكن واثقةٍ ايضاً، لكنها تعلم بأن عليها تدبر ذلك. اخذت نفساً عميقاً وقالت:«استطيع تدبر ذلك. لا تقلق.» ثم ابتسمت ابتسامة اشمئزاز:«لا تخف، فهو ليس خطيراً، على الأقل ليس في الشكل الجسدي.»
ابتسم لها ابتسامة لطيفة، متعاطفة جعلتها تبعد نظرها فوراً، فهي لا تستحق منه ان ينظر إليها بهذه الطريقة. فقد جدد شعورها بالعزم.

استدارت بعيداً فجأة وحدقت بتهور من خلال نافذة السيارة، ثم قالت بلطف:«ارجوك، اعطني عدة دقائق بمفردي معه ثم بإمكانك الدخول ان شئت.»
«حسناً، لديك عشر دقائق.» قام لوسيان بهذا التنازل بتذمر. ابعد يده عن قبضة الباب وجلس مجدداً في مقعده ثم كرر:«عشر دقائق، فقط، تذكري.»
اشارت بالموافقة وترجلت من السيارة، حقيبتها معلقة على كتفها وكأنها تحميها. خطت بعدها باتجاه الباب الأخضر، تتوسل بشدةٍ للاحتفاظ بهدوئها إزاء ما هو مقدّر ان يحدث لاحقا، كل ما أطلبه، هو ألا أجد نفسي غبية.
ضغطت جرس الباب وسمعته يرن في القاعة، ثم ضغطت على نفسها لتتنفس بعمق وهدوء عند سماع صوت اقدام متجهة باتجاهها.
بعد لحظة فتح الباب ووجدت نفسها تنظر الى وجه فتاة شقراء الشعر، زرقاء العينين.
إذا هذه من انتحلت شخصيتي، وجدت نفسها تفكر بطريقة مستقلة بغرابة فاجأتها قليلا. لقد توقعت ان تشعر بانفعال أكبر قليلا.
حدقت إليها الفتاة، ثم سألتها بصوت عدائي:«نعم؟ ان كنت تبيعين شيئا، آسفة انني لست مهتمة.»
«لست أبيع أي شيء.» فجأة أصبح هدوء جنيفر بالغا حده، ارخت قبضتها المشدودة على حقيبتها ثم قالت:«لقد اتيت لرؤية كلايف، هل يمكنني الدخول؟»

«بإمكانك ذلك.» وقفت الفتاة بعيداً قليلاً ثم ترددت متأخرة:«من أنت؟كيف يمكنني ان اعرف إذا ما كان كلايف يود رؤيتك؟»

لكن ما ان حاولت اعتراض سبيلها حتى كانت جنيفر قد قطعت نصف المسافة داخل القاعة. اخبرت الفتاة بهدوء:«أوه، لا اعتقد بأنه يود رؤيتي. لكنني أريد ان أراه بأي حال، إسمي جنيفر وودستوك.»

كان تأثير البلاغ على جنيفر ساراً كثيراً، إذ تغير لون الفتاة. وتبدل بانزعاج ثم ثرثرت:«جنيفر وودستوك؟»

«أجل، جنيفر وودستوك الحقيقية.» ابتسمت كمبتهجة بالنصر، منتهزة فرصة ارتباك الفتاة لتستمر بالدخول نحو القاعة. اختلست النظر حولها:«الآن اخبريني أين كلايف. أريد ان اكلمه وليس لدي المزيد من الوقت.»

«انه في المطبخ.» وأشارت الفتاة الشقراء الى الباب المغلق. لكن في تلك اللحظة فتح الباب وظهر كلايف مبتسماً ابتسامة عريضة.

«يا للمفاجأة!» خطى نحوها وكأنه سعيد برؤيتها:«كيف علمت انني بقيت مع ابنة عمي؟»

عبست بوجهه، شاعرة بالكثير من الخداع والكره ومتعجبة من سيطرة نفسها على هدوئها. كانت تتوقع ان مواجهته ستكون مؤثرة اكثر. إلا ان كل ما كانت تفكر به فجأة هو أنه مخادع

وقح وانها كانت غبية لأنها لم تر ذلك من قبل. نظرت الى ابتسامته مباشرة:«هل هي ابنة عمك؟ حسناً، انا آسفة لأن ابنة عمك مثلك، لدي بعض الاسئلة لتجيب عليها.»

استمر كلايف بالابتسام، الا ان الشعاع الذي في عينيه قد شحب:«عمّ تتكلمين؟ ادخلي لتناول الشاي.»

«لا اريد ان اتناول شيئاً. انا هنا بشأن اعمال جدية...» ما ان توقفت جنيفر، مسيطرة على أفكارها قبل الانقضاض الرئيسي، قاطعها صوت الفتاة من خلفها.

«اعتقد بأنها تعلم يا كلايف.»

«تعلم؟ تعلم ماذا؟» استمر يخادع، والآن جاء دور جنيفر لتقاطعه.

«أجل، صديقتك على حق... اسفة، ابنة عمك.» صحّحت ذلك بسخرية:«اعلم كل ما أنت منهمك به. كيف استغليت صداقتك لي لتخدع فنانة خزف محلية... تبيع عملها في لندن تحت اسم مزيف وبخداع تحتفظ بالربح لنفسك كيف استطعت يا كلايف؟ لقد وثقت بك؟»

«لا أعلم ما انت بصدده.» بدا وكأنه شخص مجروح الشعور. يا له من ممثل! لا عجب لو انها خدعت به.

«كاذب.» خطت باتجاهه، وهي تشد قبضتيها:«وأنت لم تخدع فقط اصحاب الحرف الذين نتعامل

معهم... اني متأكدة بأن كارين ستوكس لم تكن الضحية الوحيدة... لديك الجرأة لتشوه سمعتي في العملية؟»

اختلست نظرة الى خلفها باتجاه الفتاة الشقراء التي لا زالت واقفة تصغي:«ماذا تأملان... لو ألقي القبض عليكما، اللوم كله بشأن كل شيء سيقع عليّ؟ أنت حثالة المجتمع، يا كلايف، لسوء الحظ انني لم اكتشف ذلك عاجلا.»

«أأنا حثالة المجتمع؟» فجأة تغيّر سلوك كلايف. اختفت الابتسامة الزائفة. قطب وجهه ثم قال لها فجأة:«ربما تعتقدين انني حثالة المجتمع، إلا انني رجل أعمال ناجح أكثر منك. ليست لديكِ معلومات عن كيفية كسب الارباح. هل اعتقدت جدياً ان كل ما اردته من الحياة هو إدارة متجرين صغيرين للتحف في المناطق الريفية؟» ضحك ضحكة قاسية:«لا بد انك مجنونة، لقد استغليتك، ايتها المغفلة البائسة، مباشرة منذ البداية.»

لأول مرة منذ ان خطت نحو الرواق الضيق، يضطرب مظهرها. شعرت بأنها ضعيفة. ما كان يقوله هو أمر مروع... مع انها، بالتأكيد، ذكرت نفسها من خلال الضباب الذي يلف أفكارها، انها عرفت قبل ان تأتي الى هنا ان هذا هو الوضع، ان كلايف استغلها بسخرية مباشرة منذ البداية. لكن الصدمة الكبرى هي ان تسمع ذلك منه.

كانت مدركة لرنين الجرس ما ان اجابت بارتجاف:«حسنا، لقد انتهت لعبتك الدنيئة الآن. انني على وشك كشف ذلك.»

«أنت؟» رن الجرس مجدداً، هذه المرة بإصرار أكبر، مع ان كلايف بدا غافلاً تماماً بشأن ذلك في الوقت الذي بدأ يعترضها:«لا اعتقد بأنك ستجدين ذلك سهلا كما تعتقدين، لدي كل انواع العمليات الصغيرة هذه التي تجري، ربما كان باستطاعتك ايقاف اثنين منها، إلا انك لن توقيفيني.»

خطى نحوها فجأة مبتسما بخبث، وتابع:«إذاً لمَ لا تعودين الى قريتك الصغيرة حيث تنتمين وتواصلين جمع قوتك بجهد من متجرك الحقير وترسمين تلك الصور المحزنة التي لن تباع ابداً؟»

أمرها قائلا:«اذهبي، اذهبي من هنا.»

أرادت ان تضرب يده بعيداً، الا انها كانت على وشك ان تفقد توازنها بعد ان تعثرت بسجادة القاعة. ترنحت مجدداً بسرعة، فكرت انها على وشك الانتهاء بسقطة مخزية على الأرض.

لكن ذلك لم يكن قدرها. بل هو قدر كلايف. كانت هناك يد ثابتة على خصرها وشعرت بتدفق هواء امام أذنها. كان لوسيان قد وجّه صفعة مفاجئة لكلايف. سمعت لوسيان يأمره:«أبعد يديك عنها! إن أردت ضرب أحد، فحاول ان تضربني أنا!» لكن كلايف ليس في وضع يمكنه ضرب احد. اتسعت عيناه

بالمفاجأة ما ان تعثر للوراء وسقط على الارض. تمدد هناك، للحظة ثم نهض ببطء وسأل:«من انت أيها الوقح؟»

«أنني اسوأ كابوس لديك جاء للواقع، هذا أنا.» خطى لوسيان امام جنيفر ليواجهه:«انني الشخص الذي سيُشرف على نهايتك... كلياً، وذلك لن يكون صعباً كما يبدو انك تتوهم.»

نظر الى الرجل الآخر، الذي أبعد عينيه عنه، غير قادر على تحمل نظرة لوسيان القاسية:«الشرطة في طريقها إليك الآن. لديهم كل التفاصيل بشأنك. لذلك ليس هناك داعي للفرار. لو كنت مكانك، لاستسلمت بلياقة.»

«والآن لنخرج من هنا.» استدار لوسيان باتجاه جنيفر، أمسك ذراعها ووجهها باتجاه الباب، من أمام كلايف ورفيقته الشقراء التي ما زالت واقفة كالصخر من شدة الدهشة، اتسعت عيناها، مأخوذة بصمت بذلك المشهد:«هذا المكان أثار اشمئزازي. انني بحاجة لبعض الهواء المنعش.»

اتخذت جنيفر سبيلها بلياقة الى الممر، خارج البوابة ثم الى الرصيف حيث السيارة. فجأة، بدأت أوصالها ترتجف بطريقة لا يمكن السيطرة عليها. توقعت انها لن تتمتع بحرية التصرف ابدا.

بعدئذ كانت تلقي بنفسها في سيارة الفيراري ولوسيان يصعد بجانبها، ثم مد يده إليها ليوثق لها حزام الأمان.

شعر وكأنها طفلة مصدومة وضعيفة، مجردة من القدرة على المخاطبة والحركة، غير قادرة على فعل أي شيء لنفسها. كان ذلك وكأن فداحة كل ما حصل كان فقط بداية تدريجية لتفهم ذلك جيداً والسبيل الوحيد الذي يمكنها من التغلب على الأمر هو ان تحرر نفسها من ذلك، لتبقى صامتة ومسيطرة وهادئة وساكنة.

كانت تتنفس بصعوبة فاقدة الحس حتى اعماقها.

بدا لوسيان وكأنه متفهم. قاد بهدوء وصمت كل الطريق من هايغات الى ريجينت بارك. وهذا ما كانت بحاجة إليه بالضبط.

مرة ثانية كانا خارج الشقة، ساعدها على الترجل من السيارة ثم وجهها بيد لطيفة عبر الرواق الى المصعد الذي نقلهما الى الشقة. لم يتكلم الا عندما اصبحا داخل الشقة.

قال:«اجلسي سأحضر لك عصيراً.»

جلست على حافة احد المقاعد. شعرت وكأنها مثل وتر بيانو، مشدود على وشك ان يطلق صوتاً حاداً وإذا بدأت، خشيت من التدفق الذي سيلي. فهي حالما تبدأ فستفقد زمام السيطرة على نفسها.

حين احضر لها العصير. قال لها:«اشربيه ببطء، فسيجعلك تشعرين بحالة افضل.»

لا شيء بإمكانه ذلك. فكرت لكنها لم تتفوه به بل عوضاً عن ذلك، رشفت بامتثال، ثم حدقت بالكوب.

لا شيء بإمكانه ان يمحو شعورها بالبؤس العنيف.
جلس على كرسي في مواجهتها وانحنى باتجاهها، فبدت نظرة اهتمام على وجهه:«لا تفكري بالأمر بهذه القسوة، فهو حقا لا يستحق ذلك. فقط كوني مسرورة لأننا عرفنا الحقيقة أخيرا.»
كان سهلا بالنسبة له قول ذلك. اختلست النظر إليه، وأجبرت نفسها على الكلام، مع ان صوتها كان أجش، قالت:«لقد صدقته، ووثقت به تماما، منذ البداية كل ما فعله كان استغلالا لي.»
بانت نظرة ألم على وجهه. وضع كوبه جانباً:«اعرف انه من الصعب مواجهة امر كهذا... خصوصا عندما تكونين قريبة عاطفيا من الشخص المعني. لكن لا تلومي نفسك لأنك خدعت به. انه مخادع محترف. فقد خدع أشخاص كثر، انه بارع في ذلك، هذا ما يفعله كي يعيش.»
تابعت جنيفر:«وقد حذرتني، ألم تفعل؟» ونظرت إليه، قست قسماتها بانفعال مكبوت:«لقد حذرتني قائلا بأنه يواجه متاعب. لم اصدقك ولم استمع لك.»
«اعتقد ان ذلك قابل للتسامح في هذه الحال.» ألقى نظرة شاملة على وجهها بعين متسامحة:«لا يمكن للانسان ان يصدق كل كلمة تقال عن الشخص الذي يحب.»
الشخص الذي يحب؟ انزعجت داخليا، فكرت. لم أحبه على الاطلاق. على الأقل هذا ما انا ممتنة لأجله. إلا انه بدا امرا غير ضروري قول ذلك

بصوت عال، فذلك لا يهم لوسيان بطريقة او بأخرى.
قالت بدلا من ذلك، تجاهد لمنع دموعها التي تؤلمها من الانهمار:«وأنا أفكر بأنه كان يحتقرني ويستغلني طوال الوقت. كيف أمكنني ان اكون حمقاء هكذا؟»
«انت لست حمقاء، صدقيني، لقد وثقت به وهو خدعك. هذا جعله كاذباً، الا انه لم يجعلك حمقاء.» ضيق عينيه وهو ينظر باتجاهها:«وأنا لا اعتقد أنه يحتقرك... بل على العكس، انه يقدّر موهبتك كفنانة...»
قاطعته بعدم صبر، وبصوت جعل دموعها المكبوتة تنهمر:«كيف يمكنك قول ذلك؟ لقد سمعت ما قاله بشأن رسوماتي، رسومات حقيرة محزنة. ذلك لا يعتبر تقديرا لموهبتي.»
قال:«هو لا يقصد ذلك، بل حاول ايذاءك لأنك كشفت أمره. لكن، في الحقيقة، انا واثق انه يفكر العكس.»
نظر في عينيها للحظة:«برأيي ان احد الأسباب الرئيسية انه كان يمسك بك... هكذا بإمكانه استغلال قدرتك كرسامة. من المحتمل انه خطط لأن يفعل برسوماتك ما فعله مع البومات الزرقاء... يبيعها سرا تحت اسم آخر.»
نظرت إليه وقالت:«اتعتقد ذلك فعلاً؟» ربما كانت هذه الحقيقة وربما لا، الا انها عرفت باقتناع كبير ان هذا ما ينبغي على لوسيان ان يقوله.
اشار قائلا:«انا حقا اعتقد ذلك، في الحقيقة، انا واثق تماما.»

يا لعينيه اللطيفتين. فيض من العاطفة سرى في داخلها. لا أحد في العالم يملك عينين لطيفتين، حنونتين كعينيه. همست قائلة:«شكراً لك.» عندئذ اغمضت عينيها بإحكام ما ان شعرت بنشيج البكاء يرتفع من حنجرتها.

فجأة، لم تعد قادرة على الاحتفاظ بدموعها فانهمرت دموع حارة، عاجزة على وجهها.

«هذا افضل. دعي دموعك تنهمر. حبسها ليس جيداً.» فجأة قطع لوسيان المسافة القصيرة التي كانت بينهما وقال:«ابكي، ابكي الى ان تشعري بالراحة.»

فعلت ذلك، مع ان نوبة البكاء التي استحوذت عليها كانت انفعالا انتهى فورا وبدأت تجفف دموعها، لقد كان على حق... شعرت انها أفضل بسبب ذلك. فلم تعد تشعر بالتوتر الشديد. لم تعد تشعر انها يمكن ان تنهار.

ما ان مسحت وجنتيها بالمنديل الذي قدمه لها، تابع لوسيان يقول بلطف:«سأبقيك لفترة حتى تتغلبي على الصدمة. لكنني هنا متى احتجت لكتف تبكين عليه.»

تغير صوته بهدوء:«هذا أقل ما يمكنني فعله.»

اختلست النظر إليه منذهلة بفكرته الغامضة عندما قال كتفاً تبكين عليه. لقد فكرت بما يملك من طاقات عبر السنين التي عرفته، الا انها لم تفكر به من قبل كمصدر للراحة ابدا.

قالت:«ماذا تعني،هذا أقل ما يمكنك فعله.»

«بعد ما اتهمتك به لا زلت قادرة على سؤالي ذلك؟»

ابتسم ابتسامة استياء وقال:«هل نسيت انني صدقت سابقاً انك كنت مسؤولة عن كل ذلك؟ هل نسيت انني كنت اعتقد بأنك شريكة كلايف؟»

نسيت بطريقة مضحكة. تنهدت وهزت رأسها له:«بماذا كنت تعتقد ايضاً؟ مراعاة لطريقة إدعائه ذلك بشأني، سيكون من الصعب بالنسبة لك ان تصدق أي شيء آخر.»

«ربما كذلك. الا انني ما زلت مديناً لك باعتذار. لا زال من واجبي ان احاول اصلاح الأمر.»

«كما قلت، لقد خدعنا كلانا. كنت قريبة منه كأي شخص، وهو بالتأكيد خدعني.»

توقفت ورفعت وجهها:«حسناً، ربما هذا ليس دقيقاً بالضبط. من الواضح، ان الفتاة الأخرى كانت قريبة بالنسبة إليه أكثر مني. ارأيت، لقد كنت مخطئة حتى بشأن ذلك ايضا.»

«انا حقا آسف بشأن ذلك. اعلم كم ان هذا مؤلم.»

تابع لوسيان:«لكن ينبغي عليك ان تحاولي اقناع نفسك انك قد كنت محظوظة بالتخلص من ذلك.»

عرفت جنيفر ذلك. لقد تخطت تلك العقبة. التي لم تكن صعبة لتتخطاها.

الا انها لم تقل ذلك. بل عوضاً عنه، تنهدت ما ان نظرت إليه. كانت تفكر كم هي سعيدة لأن لوسيان

معها. فليس هناك احد في العالم كان سيقف بجانبها في هذه اللحظة.

قال لها:«طبيعي، ان عقد ايجار المتجر سيُجدد. سأسعى الى ذلك فوراً. هل تعتقدين انك ستكونين قادرة على مسامحتي؟»

قالت له:«بالطبع. لقد ارتكبت خطأ حقيقياً.» كان رائعاً ان تعرف ذلك، ان تعرف انه لا يكرهها. عرفت الآن، انه لم يتصرف بدافع الكره، رغم كل شيء لقد فعل ما يجب فعله. كيف يمكنها ألا تسامحه بشأن ذلك؟

«ما زال هناك أمرٍ صغير لم أخبرك به... وربما لن تجدي ذلك سهلاً للمسامحة... لقد اتيت الى هنا كي أحاول ايقاعك في المصيدة، بالإضافة الى ايقاف المتجر عن العمل، لقد كلفت شخصاً بمراقبة كلايف... هكذا اكتشفت امر الفتاة. أما انت فقد قررت ان أراقبك بنفسي. اردت ابقاء الشرطة بعيداً عن أمرك للأسباب التي سبق ان أخبرتك بها، من أجل احترامي لوالديك. لكنني اتصلت بهما هذا الصباح عندما علمت انك لست متورطة واخبرتهما كل المعلومات. لكن، بمساعدة الشرطة أم لا، عزمت كلياً على انتزاع حقي.»

اجابته:«لا ألومك. كنت سأشعر بالطريقة نفسها. وانت كنت محقاً خمسين بالمئة باستنتاجاتك، على أية حال كلايف كان مذنباً تماماً لكلينا.»

«يا لك من فتاة.» هز رأسه بإعجاب مذهل:«انني مسرور لأنني لم أذكر أي شيء للعمة ميمي. على الرغم مما جعلتك تعتقدينه منذ البداية، فستكونين مسرورة لسماع انها لم تعرف شيئاً عما جرى.»

ابتسمت:«أجل انني مسرورة.»

الا إنه لم يبتسم لها بل ان تقطيبته قد زادت عمقاً:«أنا حقاً آسف، آمل ان تكوني قادرة على مسامحتي.»

«لقد سامحتك.»

«حقاً؟»

«حقيقة لا أحمل لك أي ضغينة.»

ابتسم، ثم قال:«دعينا نتصافح بشأن ذلك.»

«حسناً لنتصافح بشأن ذلك.» مدت يدها، شاعرة بدفء غريب ينساب في داخلها ما ان مد يده ليمسك يدها.

يجب ان يكون ذلك نهاية لما حدث. مصافحة قصيرة ويتسامحان. لكن بعد لحظة كانا لا يزالان يجلسان على الكنبة، كل واحد يحدق بوجه الآخر.

كانت على يقين بدقات قلبها التي تسارعت فجأة، شعرت بتدفق الدم في رأسها بانفعال شديد.

لم يتحرك احد منهما لثانية. ثم اقترب ومد يده لرفع سماعة الهاتف.

كان بإمكانها ان ترى في عينيه ما خطر في باله ان يفعل كما أملت ويقطع الاتصال. إلا انه في اللحظة الأخيرة لم يفعل لأن جرس الهاتف رن. رفع السماعة

الى إذنه ثم قال:«آلو؟ لوسيان كينغسلي يتكلم.»
ما ان وضع السماعة جانبا نهض من مكانه، نظر الى وجه جنيفر وابتسم ابتسامة يعوزها الانسجام:«اعتقد ان ذلك كان وضعا تقليديا للنجاة بواسطة الجرس.»
شعرت جنيفر ان قلبها يثب. بدت ان برودة مفاجئة قد لامستها. منذ دقيقة كان قريبا جدا والآن قد اصبح بعيدا عنها كالجانب المظلم من القمر.
سألته:«من كان هذا؟»
اجاب غير ملاحظ الألم الذي في عينيها لتركه لها.
لم تكن تدرك سوى نوبة الحزن التي مزقتها داخليا، ما ان اخبرها بصوت هادىء:«تلك كانت كاترين انها في المحطة، سأذهب لاحضارها.»

الفصل التاسع

بعد ذهاب لوسيان، رتبت جنيفر وضعها، جمعت اغراضها، دونت ملاحظة سريعة قبل ان تغادر الشقة، وسلمتها لروبرت على ان يعطيها للوسيان.
كانت الرسالة بسيطة، غير غامضة.
النجاة بواسطة الجرس... كنت محقاً بشأن ذلك! الشكر للهاتف انه انقذنا قبل ان نفعل شيئاً ربما يجعلنا نندم. انني عائدة الى بلدتي لأتغلب على جراحي وأقوم بعمل ما. سأراك هناك يوماً ما. اتمنى لك اسعد الامنيات، جنيفر.»
جلست في القطار في رحلة تستغرق ساعة من الوقت لبلدتها وكررت تلاوة الرسالة في عقلها. شعرت أنها اتخذت التعليق الصحيح، لقد جددت المسافة بينهما من دون الحاجة للفتور والعدوانية وهذا ما ارادته لتبقي لوسيان بعيداً. لجعله يعرف بأنه يعني شيئاً بالنسبة إليها... على الاطلاق.
كانت المناظر الطبيعية من خلال نافذة القطار، غير واضحة بسبب الدموع التي ملأت عينيها.
ابتلعت ريقها محاولة محو الضيق الذي في حنجرتها. الا أنه لم يتزحزح. كان مستقرا هناك كالحجر. وكان يزداد بطريقة لا يمكن احتمالها كلما فكرت به.
انني احبه، استمر عقلها يكرر، أكثر وأكثر. أحبه

أكثر مما أحب نفسي. وقد احببته دائماً. كان دائماً جزءاً مني. فقط حتى اليوم، كنت غير قادرة على مواجهة الحقيقة.

تساءلت في البداية إذا ما كانت كل الانطباعات الشخصية مجنونة. لربما كانت هذه المشاعر تضليلاً نبع بعض الشيء من العواطف المجروحة بسبب اكتشاف خداع كلايف. لربما كانت ردة فعل هستيرية. غالباً ما تمنت ذلك، انه يفسر ذلك بهذه السهولة. تعرف ان الأمر لم يكن كذلك. فليس هناك عواطف مجروحة بل كان بخصوص كلايف، غضب وخيبة أمل. وأمر آخر، أدركته بقليل من الخجل... شعور بالتحرر من قيد عاطفي.

لم يكن هناك اكثر من صداقة بينها وبين كلايف، حتى أنه، لو كانت صادقة، لم تكن هناك مشاعر عميقة. فهي لم تحبه ولم تفكر جدياً بالزواج منه. لقد زادت صداقتهما لأن ذلك بدا يرضي كلايف، وأيضاً بدا ان صداقته غير مؤذية. تلك كانت الحقيقة الصريحة البسيطة.

قطبت جبينها، فقد بدا الآن ان كلايف قد استغل صداقتها من أجل ربح مالي. وربما عزم على الزواج على أمل السيطرة على المتجر، او السيطرة على بيع رسوماتها، كما اقترح لوسيان، وكل الوقت، مع شريكته الشقراء كان عازماً على تأسيس حياة مزدوجة... وبلا شك، كان ينوي متابعة ذلك.

هزت جنيفر رأسها. يا لي من حمقاء، لم تتصور ان تتورط مع كلايف ابداً. الا ان الفكرة لم تكن مؤلمة. إنها تضايقها فحسب. لا، إن اهتمامها بكلايف، لم يسبب لها أي جرح لعواطفها.

أما بالنسبة للوسيان... فالأمر كان مختلفاً. شعرت ان الضيق في حنجرتها يزداد بشدة، الدموع الحارة في عينيها تهدد بالانهمار. ما حدث بينها وبين لوسيان قد اذبل رغبتها للحياة.

في تلك اللحظة عندما ايقنت انها تحبه، بدا ذلك وكأنه اطلاق سراح، وكأنه تحرر من الدفء الذي في داخلها كان شعوراً كالتخلص من خوف مشل، كبحَ طويلاً. وبإختصار، فهي قد ابتهجت بهذا الدفء الذي ملأها سعادة مفعمة بالأمل والتفاؤل.

الا أن سعادتها كانت قصيرة. لأن جرس الهاتف رن حينذاك.

ابتسمت جنيفر ابتسامة ملتوية. لقد نسيت أمر كارين. كارين الحاضرة دائماً، التي كانت عاجزة جداً، لقد اتضح الآن، انها لم تهرع فقط الى لوسيان بكل متاعبها، الا أنها ايضاً غير قادرة على استئجار سيارة من المحطة! عليها ان تتصل بلوسيان كي ينقلها. لكن ربما كان من الافضل ان تتصل كارين. اخذت جنيفر نفساً عميقاً. ليس هناك أي سبب كي تبدو منافسة لها. كيف كان سيبدو الأمر لو ان كارين حضرت الى الشقة لتجد لوسيان مع جنيفر؟

قررت ان ذلك شيء سيء بالنسبة لكارين. شكت ان يكون الأمر من وجهة نظرها هو افضل بالنسبة لها.
اتكأت جنيفر للوراء في مقعدها وأخذت نفساً عميقاً للحظة. انها تفكر بهذه الافكار الوقحة لتوقف نفسها عن البكاء.
ماذا يعني ما قاله لها: ما زلت اشعر بأنه من واجبي ان احاول القيام بالاصلاح؟
لهذا السبب كان لطيفاً جداً معها، لِمَ كان يواسيها لأنه شعر بأنه مدين لها بذلك.
كانت فكرة محطمة، الا ان جنيفر شعرت بأن هذه هي الحقيقة. ارتجاجة مفاجئة اخبرتها ان القطار قد وصل الى محطتها. نهضت وتوجهت نحو الباب.
وهكذا، ما الذي تغير؟ اخبرت نفسها وهي مسرعة خلال حاجز التذاكر، ثم الى الخارج نحو الطريق لتستقل سيارة اجرة. بالتأكيد لا شيء في حياتي موضع خلاف حقيقي. ما زالت لدي اعمالي، ما زال لدي رسمي، كلايف قد ذهب، لكن هذا ايجابياً، وليس سلبياً. بقدر ما انا ولوسيان متورطان، لا شيء تغير.
نادت تستوقف سيارة أجرة، وجلست في المقعد الخلفي.
ثم قالت للسائق:«هاي ستريت. مساكن دوفيكوت.»
سألت نفسها ما ان انطلقت السيارة: وبالتالي ما هي المشكلة؟ كل ما علي فعله هو ان اتدبر امري كما في السابق.
حدقت خارج النافذة، مختلسة النظر، ممسكة

حقيبتها الموضوعة على حجرها بإحكام. فقد عرفت ان كل شيء قد تغير في قلبها، إذاً كيف يمكنها ان تتدبر أمرها كما في السابق؟
عضت على شفتها لتكبت رجفة من الألم. لأنها عزمت السؤال الذي ينبغي ان تسأله لنفسها وهو، أين تجد القوة لتتدبر امرها في الوقت الذي تحطم قلبها في داخلها كقطعة زجاج تناثرت قطعاً مزقت اعماقها الى اجزاء؟

* * *

قالت جنيفر:«اريدك ان تتولي إدارة المتجر. اعرف انك ستقومين بعمل عظيم.»
اتسعت عينا شيرين وهي تقول مندهشة:«هل تعنين ذلك حقيقة يا جنيفر؟ لقد اذهلني ما حصل!لا اصدق ذلك! لن اخيب املك. اعدك بذلك.»
«اعلم انك لن تخيبي أملي.» ابتسمت لها بلطف:«لدي كل الثقة بكفاءاتك.»
مضت عدة ساعات والفتاتان جالستان في المتجر الى المكتب يتحادثان ويتناولان القهوة.
اختلست شيرين النظر الى جنيفر:«هذا يعني كثيراً بالنسبة لي. كما تعرفين، ما زلت غير قادرة على ايجاد عمل، وليس من السهل العيش بأجر عمل جزئي...» قطعت كلامها وقطبت:«امل ألا يكون عرضك هذا مجرد اعطاء فرصة من باب العطف؟ بإمكاني تدبر الأمر. لا داعي لتفعلي ذلك.»

بالطبع لا، انني افعل ذلك للسبب الذي اخبرتك به. هكذا اكرس قسماً اكبر من وقتي للرسم. ولأنني احتاج الى شخص استطيع الوثوق به ليهتم بالمتجر وليس بإمكاني التفكير في شخص انسب منك. انك بعملك تسدين لي معروفاً.»

ابتسمت مستعيدة الطمأنينة، وجرعت جرعة من قهوتها ثم نظرت الى جنيفر من فوق فنجانها وهي تشعر بالندم تقريباً:«لا اريد ان ابدو بغيضة، لكن اعتقد بأن عليّ ان اخبرك.»

الا أنها قبل ان تتكلم قاطعتها جنيفر:«اعرف ما انت بصدد قوله... انك ما زلت تأملين بالحصول على وظيفة في مجال الكمبيوتر، لأنك لا تعتبرين هذا امراً طويل الأمد. هذا جيد يا شيرين. انني اتفهم ذلك. وأمل ان تجدي وظيفة اخرى. سيكون كذلك، لو قررت متابعة العمل في المتجر.»

نظرت اليها شيرين بإعجاب:«هل انت جادة فعلاً، إذاً من أجل تفرغك للرسم؟ اعتقد ان هذا رائع. برغم ذلك، فأنت موهوبة جداً يبدو مخجلاً بالنسبة لك القيام بأي شيء آخر.»

«شكراً لهذه الثقة.» تابعت جنيفر وهي تشعر بالسعادة:«هذا ما اردته دائماً وقد قررت الآن فوراً... على الإقل، سيكون الأمر كذلك ان استطعت الرسم مجدداً، سأعطي نفسي مهلة ستة أشهر، وأرى كيف تسير الأمور عندها. حتى ذلك الوقت

يجب عليّ ان اكون في وضع اتخذ فيه قراراً.»

ابتسمت لها شيرين بابتهاج:«اوه،انا واثقة بأن ذلك سيكون استعداداً لك، ومع ذلك، لقد بعت هاتين الرسمتين من دون ازعاج على الاطلاق. اني متأكدة انه في خلال ستة اشهر ستقف الزبائن في طابور عند بابك الخارجي.»

يا لهذه الفكرة الرائعة!

ضحكت جنيفر:«هذا سيكون رائعاً، لكن في الوقت الحالي سوف استقر حتى اعلم انني استطيع ان ابيع مجموعة كبيرة من رسوماتي بصورة تجعلني بعدئذ اكرس كل وقتي للرسم.»

وقفتْ وهي تبتسم ابتسامة سريعة:«من الافضل ان انطلق الآن، لن اقوم بذلك ابداً، ان جلست هنا اتحدث!» انهت فنجان قهوتها قائلة:«حان الوقت لأقوم ببعض العمل. تلك اللوحة في الاستديو لن تقوم برسم نفسها.»

«هذا صحيح، عليك الذهاب.» حملت شيرين فنجاني القهوة وتوجهت الى الغرفة الخلفية:«تذهبين الى المنزل لتقومي بما انت بارعة به. لكن لا تعملي طويلاً.» رمت جنيفر بتقطيبة عبر كتفها:«لقد قال والدي انه عندما مر قرب شقتك بعد منتصف ليل أمس كانت الاضواء لا تزال مضاءة في الاستديو. التفاني جيد جداً، لكنك لا تريدين المبالغة في ذلك.»

«لا تقلقي، لن افعل.» ابتسمت جنيفر لاهتمامها بينما

كانت تعلق حقيبتها البنية الجلدية فوق كتفها:«ان ذلك مجرد انني انال معظم الهامي بعد منتصف الليل.»
رمقت شيرين بانزعاج:«انت تعرفين كيف نكون نحن الفنانين.» بعدها كانت تتوجه نحو الباب:«سأراك غداً. ليلة هادئة.»
بينما كانت في طريقها الى المنزل. شعرت اشراقها قد شحب. تصارع الحزن في داخلها. ماذا قالت... ان معظم الهامها يحدث بعد منتصف الليل؟ هذا يعد تغطية مدروسة. بعد منتصف الليل عندما تأتي ذكرى لوسيان لتعذبها، والعمل الى ان يغلبها النعاس كان الطريقة الوحيدة لطرد هذه الافكار خارجاً.
دست يديها في جيبي سترتها، ما ان توجهت اسفل الطريق المؤدي الى دوفيكوت فلاش.
مر حوالي شهر منذ ان رأت لوسيان آخر مرة. او سمعت شيئاً عنه، او وصلتها أي أخبار على الاطلاق. وكأنه اختفى من على وجه الأرض.
كان ذلك أفضل، قالت ذلك لنفسها، عندما وصلت أخيراً الى المساكن. ليس باستطاعتها تحمل النظر إليه مجدداً، ماذا لديها لتقوله له؟ كان من الافضل لو بقي بعيداً عن طريقها.
حزنها سوف يمر. عرفت أنه سيمر اخيراً في الوقت المحدد. هذا الألم الذي خفق واندفع في داخلها سيزداد ليصبح ليس أكثر من توقاً بطيئاً مؤلماً، ألماً بالكاد تعرفه بعد الآن.

وبعدها سوف تتحرر. لم يعد هناك أي نشاط للبقاء أمام اللوح الأسود بعدها فقدت القدرة على الوقوف، فعرفت اخيراً، ان الذهاب الى غرفتها أصبح مأموناً.
وضعت مفتاحها في القفل. بلى، ذلك اليوم سيأتي. ذلك اليوم حيث لا مزيد من الدموع ولا من الأمل. لا مزيد من رؤية الاحلام التي لن تتحقق ابداً.
لكن ليس الآن. ليس الليلة. لأن هذه الليلة الألم عنيف وهو يضغط على قلبها.
فتحت الباب وتوجهت نحو الاستديو. هذه الليلة ستكون ليلة طويلة أخرى.

* * *

بعد يومين، وأخيراً يوم الأحد، أصبحت الصورة التي ترسمها في مراحلها الأخيرة.
لقد عملت عليها منذ الصباح، بعد نوم ليلة هادئة، افضل ليلة نامتها منذ اسابيع. قررت باكراً وهي تتناول فطورها انها بدأت التكيف مع الأمور. الأسوأ قد انتهى. لقد امسكت زمام الأمور مجدداً ووضعت لوسيان حيث يجب ان يكون خارج عقلها وحياتها.
بدأت بالرسم بنشاط متجدد. لو استطيع نسيان لوسيان، يمكنني القيام بأي شيء ولا شيء قادر على ايقافي.
ابتسمت جنيفر لنفسها في الوقت الذي مزجت الالوان، في ما بعد، يجب عليها على سبيل التغيير

الذهاب لزيارة بعض الاصدقاء للتحدث وتناول القهوة. هذا سيحسن حالها. لقد عملت بجهد مؤخرا، بهوس حقيقي. بشكل يتعب صحتها وقضاء بعض الوقت في الحياة الاجتماعية الودية قد يكون فترة استراحة رائعة.

غمست فرشاتها بالتلوين واستدارت نحو لوحتها الزيتية. شعرت بأنها افضل الآن. انسانة جديدة.

في تلك اللحظة بالذات، وبينما هي واقفة هناك، رن جرس الباب الخارجي فجأة.

توقفت جنيفر واستدارت ثم ابتسمت متذكرة، حسمت الأمر بأن هذه شيرين. لقد قالت شيرين بأنها ستمر ومعها نماذج من بطاقات الترحيب التي جلبها احدهم الى المتجر البارحة ليريها إياها.

نادت:«الباب مفتوح، انني في الاستديو.»

فتح الباب في الوقت الذي انحنت للأمام وهي تلون اللوحة، كانت باستطاعتها سماع صوت اقدام تقترب:«ضعيها في أي مكان. سأراها في ما بعد.» ثم استدارت مبتسمة:«إذاً كيف حالك هذا الصباح؟»

عندها خفق قلبها بعنف بين اضلاعها، ما ان وقفت تحدق الى وجهه، سقطت الفرشاة من بين اصابعها.

خطى لوسيان الى الأمام ثم أجاب:«أنا بخير، شكرا.»

انحنى وهو يبتسم ليلتقط الفرشاة ثم قال:«ها هي، يبدو انك اسقطت هذه.»

«شكرا.»

اخذتها جنيفر وهي مندهشة، كان دمها مضطرباً في داخلها. ما الذي فكرت فيه باكرا انها تغلبت عليه اخيرا؟ هل بذلك طردته من عقلها ومن حياتها؟ الفرح والحزن يجيشان في داخلها الآن ما ان حدقت عاجزة الى وجهه. كانت تخدع نفسها، ما زالت تحبه من كل قلبها.

ابتلعت ريقها وقالت:«لِمَ اتيت؟»

انتظرته حتى يجيب، عيناها بحثت عميقاً في عينيه. هل تجرؤ على التخمين ان هذه الزيارة ربما الجواب على احلامها؟

الا أنه تكلم اخيراً قائلاً:«نحن اتينا لنقدم اعتذارنا. اعتذار متأخر، لكنه صادق على الأقل.»

نحن؟ بدت هذه الكلمة كالماء البارد ينسكب عليها. شعرت جنيفر انها تتجمد، ابعدت عينيها عن وجهه، عندما شعرت بحركة في المدخل. كان باستطاعتها رؤية كارين من خلفه تخطو الى الغرفة.

«جنيفر.» كانت تتجه نحوها بتقطيبة خفيفة:«اردت المجيء من قبل حالما عرفت... الا أنني ارتبطت بعمل في باريس في الاسابيع القليلة الماضية. فكرت بأن اكتب رسالة أو اتصل لكني اردت ان اكلمك شخصيا.»

توقفت وابتسمت ابتسامة مرتبكة معتذرة:«ما أحاول قوله هو انني آسفة حقا لوقاحتي معك سابقا. تجاهلتك بتلك الطريقة... رفضت التكلم إليك.» عضت

على شفتها وتنهدت:«اشعر فعلاً بالخجل من ذلك.»
حافظت جنيفر على هدوئها بصعوبة. إذا لا زال الحب متأججا بين لوسيان وكارين. أقوى من امنيتها المغفلة. القصيرة بأن أحلامها السحرية اوشكت ان تصبح حقيقة الا انها عرفت بأن تلك الأمنية كانت مغفلة. كل ما شعر به لوسيان تجاهها كان في أحسن الأحوال نوعاً من الصداقة، واسوأ الاحوال،والمرجح الى حد بعيد ليس أكثر من عطف وشعور بالندم.
نظرت الى كارين، وقالت لها:«لا تقلقي، انني اتفهم ذلك. الطريقة التي سارت بها الأمور تجعل غضبك مني طبيعيا.»
مدت كارين يدها:«انا حقاً آسفة. هل تسامحينني؟ لن اطمئن حتى تسامحيني.»
«سامحتك.» مدت يدها بذهول لتمسك يد كارين، لكن فجأة امسكها لوسيان بذراعها.
ابتسم ثم قال:«لقد نسيت الفرشاة.»
«أوه، بلى. الفرشاة.» كان محقاً تماماً. فقد نسيت جنيفر تماما أمر الفرشاة التي ما زالت في يدها. ما ان قابلت عيناه المبتسمتان حتى شعرت ان قلبها غاص فورا. وضعت الفرشاة على الطاولة، تنهدت بصمت، مستجمعة كل قواها. ثم وبابتسامة مزعجة صافحت كارين.
قالت الفتاة الأخرى:«لا تقلقي بشأن ذلك. حقاً، ليس هناك شيء لأسامح بشأنه.»

سحبت كارين يدها بلباقة ثم قالت لها:«كان يجب ان اعلم ذلك. لقد عرفتك منذ ان كنا طفلتين. يجب عليّ ان اعرف انك كنت بريئة وانك غير قادرة على فعل أمر كهذا.»
«هناك اشياء كثيرة بشأن جنيفر يجب ان نعرفها جميعا.»
اختلست جنيفر النظر الى لوسيان عندما تكلم، ثم نظرت بعيدا بسرعة، لا تكاد تعرف ما كان يقول. كل ما عرفته هو ان قربه كان يخنقها.
ارادته ان يبقى، الا أنها عرفت بأنها غير قادرة على تحمل ذلك ايضا.
«لقد سمعت ان كلايف قد أوقف وسيقدم للمحاكمة حالا.»
اطمأنت عندما تكلمت كارين مجدداً. ركزت جنيفر نظرها الى وجهها، وعلقت قائلة:«أجل، هذه اخبار سارة بالفعل.» ابتسمت متابعة:«آمل ان تنجحي في الحصول على بعض النقود التي سرقها منك.»
اومأت كارين:«سيكون ذلك رائعاً. لكن الأمر الرئيسي هو ان لعبته الحقيرة قد انتهت... وباستطاعتي اخيراً ان ابدأ ببيع اعمالي تحت اسمي الخاص.»
اختلست النظر الى ساعتها:«هاي. حان وقت الذهاب. لم اعرف ان الوقت تأخر الى هذه الدرجة.» ابتسمت لجنيفر:«آسفة مجددا. وشكراً لقبول اعتذاري. انا حقا اعنيه من صميم قلبي.»

«كما قلت،كل شيءٍ على ما يرام.» بدت الكلمات وكأنها تخرج تلقائيا من فمها ما ان بدأت كارين تستدير للذهاب، فكرة واحدة فقط كانت في عقل جنيفر. هل الأمر كذلك؟ هل لوسيان على وشك الذهاب ايضا؟

بدا اكيداً، وكأن ذلك ما تنويه كارين. وضعت يدها على يد لوسيان وكأنها على وشك ان توجهه للذهاب معها. لكن بعدها قالت:«سأراك في ما بعد يا لوسيان... وأنت ايضاً، آمل ان اراك، يا جنيفر.»

«بالطبع.» اومأت جنيفر. فجأة بدأ قلبها يخفق مجددا. لن يذهب، ليس حتى الآن. شعرت ان دمها يتدفق بدفء مجددا.

لا أحد منهما تكلم الى ان اغلق الباب الخارجي خلف كارين ثم خطى مبتعداً قليلا، موسعا المسافة بينهما. نظر الى الطاولة الخشبية حيث تضع جنيفر الألوان والأغراض للحظة، نظرة تحمل شيئاً من الغرابة. قال لها:«لقد اخبرني محامي العمة ميمي انك قد اتخذت حق الاختيار بشأن عقد الايجار سامحاً لك بإنهائه في أي وقت.»

«أجل، هذا صحيح.» لا زال من الصعب النظر إليه. كل مرة تنظر فيها الى عينيه شيئاً ما في اعماقها يبدو وكأنه يتوهج ثم يخبو في اللحظة نفسها، رؤيته كانت فرحة كبيرة، الا انها في الوقت نفسه صراعا عنيفا.

تنهدت:«من المحتمل انك تعلم أنهم عندما ارسلوا لي عقد الإيجار لأوقعه، حذرتهم بأنني لا أريد الاحتفاظ بالمتجر لمدة طويلة، لذا وضع شرطاً يسمح بانهائي لعقد الإيجار متى رغبت أنا بإبلاغي للمالك قبل مدة شهر.»

«أجل، هذا ما بلغني.» ظل يراقبها عن كثب، ضاقت العينان السوداوان، تعبيره شديد الحرص:«آمل ان لا تكون دوافعك لفعل ذلك سلبية؟»

قطبت، غير واثقة تماما من استيعابها لما قصده ثم سألته:«سلبية... في أي مجال؟»

هز كتفيه:«آمل ان لا تخططي للفرار. الأفراد احياناً يشعرون بالدوافع لفعل ذلك بعد مرورهم بتجربة قاسية كتجربتك.انت تعرفين... انسي كل شيء، قومي ببداية مفعمة بالنشاط.»

بلى، قد كانت على حق. العطف والشعور بالندم... هما كل مشاعره التي يكنها لها. بذلت جهداً لكبت الشعور الذي جعلها تشعر بهذه الطريقة التعيسة البائسة.

هزت رأسها. لا تريد عطفه، قالت بصوت مسموع:«لا، ليس هذا هو الدافع، انني اريد فقط ان اكرس كل وقتي للرسم. على الأقل، اريد البقاء ستة أشهر ربما كانت قابلة للتجديد. لا أريد قطع طريق العودة قبل ان أكون واثقة.»

«لست قلقا بشأن طريق العودة. بإمكانك تدبر الأمر.

انا واثق بشأن ذلك.» ابتعد عن الطاولة فيما هو يتكلم متجها نحوها، مراقبا اللوحة خلفها:«أقول انه لا شك بشأن ذلك، لو كان هذا هو ما ستقومين به.»

«شكرا.» توردت وجنتا جنيفر بالسعادة:«انها لم تنته تماما بعد، لكنها على وشك الانتهاء.»

«لقد اعجبتني هذه الرسمة. هل لديك مشتري؟»

«مشتري قدير. لقد رفض في البداية لكنه اشترى مؤخرا لوحتين من رسوماتي. اترى، لقد بدأت البيع قبل الآن.»

«أجل أعلم.» كانت هناك نظرة غريبة في عينيه. كان هناك شيئا لم يقله، شيئا يكتبه. استطاعت ان تشعر به فجأة بقوة.

نظرت الى وجهه ثم قالت:«انا مندهشة.»

«لمَ؟ ربما كنت خارج البلاد، لكنني لم اقطع الاتصال نهائيا، فالمرء يسمع عن اشياء كهذه.»

«هل يسمع حقا؟»

كان عليها ان تشيح بنظرها للحظة. إذاً، لقد كان خارج البلاد على الأقل. هذا يفسر امرا واحدا... مع من كانت كارين مرتبطة في باريس. لا يهم أين كانا، ما هو مؤلم انهما كانا معا، وقد تكهنت بذلك سابقا.

نظرت إليه مجدداً، محاولة دفع حماقتها جانباً. كان باستطاعتها ان ترى أنه ما زال هناك نظرة في عينيه تخبىء امرا.

قال وهو يستدير مرة اخرى ليختلس النظر الى الصورة:«انا أكيد بأنك ستبيعين هذه بسهولة. زبونك... لا أظن انه يرفض. في الحقيقة انا واثق من أنه سيشتريها بسرعة.»

«لِمَ أنت واثق الى هذا الحد؟» خوف مفاجىء سرى في داخلها. ضمت قبضتيها، ثم قالت مجددا بشدة:«لِمَ انت واثق الى هذا الحد؟»

«لأنها رائعة. برأيي اعتبرها رائعة.»

إلا أنه أبقى نظره بعيدا عنها، وكلما استمر بعدم تطلعه إليها كلما أصبح الارتياب موطدا بشدة في عقلها.

كان لوسيان هو من اشترى لوحاتها، كان المشتري المجهول، وقد فعل ذلك لأجل مساعدتها وهو غير نادم.

كانت فكرة لا يمكن احتمالها ايقظتها من ذهولها. مدت يدها فجأة وأمسكت بذراعه وشدته بقوة ليستدير لمواجهتها.

«ما الذي تخبرني به؟ بشأن الرسومات، أليس كذلك؟ حسنا، اعتقد بأنه ينبغي ان تتوضح الأمور، لدي الحق بأن اعرف.»

جالت عيناه عليها، قطب للحظة، ثم لدهشتها التامة، امسك بها:«انت هي التي يجب ان توضح الأمر.»

كان يلومها بألفاظ جارحة:«انا هو من لديه الحق بأن يعرف.»

تجمدت من كلامه، خفق قلبها في داخلها بسرعة:«لا اعرف ما تعني، ليس لدي أي شيء لأوضحه، انت هو من يخبىء أمرا.»

قال بنفاد صبر:«أخبىء امراً؟ انت من تخفين اموراً، باستطاعتك اخفاء الحقيقة لسنين.»

«أية حقيقة؟» ذهلت. ما الذي يربكه؟ ألأنه كان منزعجا. ومن خلال الضيق الذي يظهر على وجهه كان بإستطاعتها ان ترى ان امرا يحطم قلبه. سألته مجدداً:«أي حقيقة؟ عم تتكلم؟»

تنهد لوسيان، وكأنه يهدىء انفعاله. إمساكه بذراعها كان قاسيا وشديدا. ثم قال بتنهيدة:«انني اتكلم عن العقد. ذلك العقد الخاص بالعمة ميمي الذي تركتني اصدق بأنك حاولت سرقته كل تلك السنين... الآن عرفت انك لم تحاولي سرقته ابدا.»

نظرت إليه جنيفر بعينين متسعتين. من أين انبعث ذلك؟ كانت في غمرة اتهامه بشرائه لوحاتها سرا، وفجأة تكلم بشأن عقد العمة ميمي!

لكن ما ان هزها مجددا، ملتمسا الرد، اضافت:«لا، بالطبع لم احاول سرقته ابدا.»

اشار لوسيان:«لقد اخبرتني كارين. الليلة الماضية كنا نتحدث عنك في شقتي وعن المعاملة السيئةالتي عاملناك بها... وبينما نحن نتحدث تذكرت القصة التي اخبرتها بها لوسندا منذ سنين... والقصة عن كيفية رسم لوسندا لحظة سرقة

العقد وجعلت ذلك يبدو وكأنك حاولت سرقته...»

«هل اخبرتك لوسندا بذلك؟»

«واضح أنه منذ سنين طويلة. لوسندا اعتبرت الأمر كله مزحة. لم تفكر كارين بأي شيء في ذلك الوقت. ليست لديها أي فكرة، ذلك الحادث جعل مشاعري بغيضة نحوك لسنين.»

شعرت جنيفر أنها تتورد من نبرة الندم في صوته. الا أنها اجبرت نفسها على ان تقول:«بالتأكيد بغيضة؟ ربما انت لم تصدق بأنني كنت لصة ابدا، لكن الحقيقة هي، مهما يكن فأنت لم تحبني حقا ابدا.»

رفع لوسيان حاجبيه عند سماع ذلك:«بالطبع احببتك. لم تقولين امرا كهذا؟»

«كان مجرد شعور ينتابني.» نظرت إليه بشوق. هل تلك ومضة حقيقية ما رأتها في عينيه؟

بالتأكيد بدا مصدوما وهو يجيب:«إذا انت مجنونة! ان كان ذلك ما تعتقدينه، فهذا كله من صنع خيالك. لست فقط أحبك، بل بالنسبة لي أنت فرد من العائلة، لم إذن احتفظت بتلك الصورة التي اتكلم عنها؟»

ابتلعت ريقها وقالت:«الصورة التي في شقتك ذات الإطار الفضي؟» فكرت جنيفر، ان وجودها في تلك الصورة لم يكن سهوا، برغم كل شيء. عضت على شفتها ونظرت بعيدا بسرعة، توردت بالسعادة والارتباك. اضافت:«لا أعرف لم اعتقدت ذلك... ربما مشاعر الطفولة، لكنني

فعلاً إعتقدت بأنك لا تحبني الى هذا الحد.»
«حسنا، اعتقد بأنك انت الشخص الوحيد الذي اعتقد ذلك. لكن لوسندا كانت تغار منك وتعتقد بأنني متيم بك.»
«لوسندا كانت تحسدني؟» اذهلتها هذه العبارة. ومن دون تفكير، وجدت نفسها تقول:«انا من كنت احسدها.» تلك أول مرة تعترف فيها بذلك، حتى لنفسها. كل ما قالته على ان رفضه لها كان حسداً حقاً، لكنها رغبت من كل قلبها لو أنها لم تقل ذلك.
تعذبت داخليا بسبب حماقتها، اخفضت نظرها، راجية ان تقدر بكل قوتها كبت ذلك.
شعرت بالثقة بأن لوسيان كان يسخر منها عندما أجاب:«اشعر بأنك اشبعت غروري.»
عم الصمت واستمرت بتحديقها الى الأرض.
سألها:«لِمَ لم تخبريني منذ سنين بشأن العقد؟»
«لم اعتقد ان ذلك يهم.» وجدت من الصعب النظر إليه. توقعت ان يبتسم لها بسخرية، لكنه لم يفعل.
«لِمَ تعتقدين ان ذلك لا يهم، ألأنني لم أكن احبك؟ هل هذا ما تقولينه؟»
«أجل، اعتقدت ذلك.» الا انها ايقنت ان هناك سبباً آخر أكثر مراوغة ايضا. لجأت لسوء التفاهم كي تبقي الفتور بينهما. كانت خائفة من التقرب جداً إليه اكراما لقلبها.
«تمنيت لو انني عرفت. تمنيت لو انني عرفت منذ

سنين.» تنهد لوسيان:«ربما لو عرفت الحقيقة بشأن العقد لما كنت اقتنعت بسرعة انك كنت متورطة مع كلايف.»
وقف بعيداً ونظر إليها:«كم من السنين قد اضعنا أنا وأنت؟»
«أضعنا؟» ماذا يقول؟ خفق قلبها فرحاً فجأة. حاولت كبت مشاعرها فقالت:«بإمكاننا ان نكون صديقين.»
استمر بمراقبتها:«أجل، نقدر. لكن في النهاية هذا لا يهم.»
عم الصمت. كان باستطاعة جنيفر ان تسمع صوت انفاسه بينما هو يراقبها. ثم قال:«هل تعرفين أين كنت في الأسابيع القليلة الماضية؟»
كانت على وشك ان تقول، لا، ثم تذكرت فجاة. أجابت بوجه قاس:«مع كارين، في فرنسا.»
«ماذا؟ مع كارين، في فرنسا!»
«لا اعرف... ماذا يفعل الناس في فرنسا... اقصد، انها صديقتك.»
تعجب قائلا:«ماذا؟» امسك بها فجأة وضحك:«إذاً هذا ما كنت تعتقدين؟ لا اصدق ذلك.»
«بالطبع هذا ما اعتقدته. لِمَ انت مندهش الى هذا الحد؟»
«لأن كارين لم تكن ابداً فتاتي.» هزها بلطف:«انت فتاة مغفلة. كارين وأنا مجرد صديقين، لم نكن ابدا اكثر من مجرد صديقين.»

حدقت به، مذهولة، متسائلة ان كانت تجرؤ على تصديقه. قالت:«إذاً ماذا كنت تفعل هناك؟»
كي يزيد من دهشتها،اجاب قائلا:«ما كنت افعله هو اجراء مقابلات مع كل اصدقائي عبر البحار، ارتب الأمور بحيث اكون بحاجة لقضاء اقل وقت ممكن في الخارج.»
سكت ونظر إليها، فجأة اصبح تعبيره جاداً ثم سألها:«هل تريدين ان تعرفي لِمَ فعلت ذلك؟»
اشارت جنيفر وهي لا تزال شبه منبهرة بإحساسها بالذهول. كانت تفكر في تلك الأوقات التي رأت فيها كارين في المنزل الكبير.
استمر ممسكا بها في الوقت الذي تابع شرحه لها:«اعرف من خلال التجربة ان نوع الحياة التي أحياها... السفر الدائم في اقصاع الارض كل الوقت... هذا أمر جيد لرجل عازب، لكن ليس لرجل متزوج ولديه اطفال. ولهذا قررت ان أجري بعض التغييرات.» تنهد:«انا لا احاول فرض نفسي عليك بسرعة. اعرف بأنه لا زال علي ان اتودد إليك أكثر... وأعلم بأنه عليك الانتهاء من الشفاء من كلايف. اعتقد بأنني يجب ان اعلمك، فأنا أريد الزواج منك، يا جنيفر.»
«أتزوجك؟»
«ليس عليك التفكير بشأن ذلك الآن... كما قلت، لا أريد جوابك الآن...» ثم سكت، ما ان بدأت تهز رأسها.

«لا، لوسيان، انت مخطىء.» ذهب ذلك الشعور المنبهر فجأة. بدا كل شيء فجأة بسيطاً وواضحا، وشعرت ان قلبها يخفق في داخلها كشيء عاصف. هزت رأسها:«ليس عليّ الشفاء من كلايف. معرفتي به كانت غلطة ولم أحبه قط. الرجل الوحيد الذي احببته دائما هو انت.»
«هل تعنين ذلك؟» العينان اللتان كانتا منذ لحظة مغشيتين اشرقتا فجأة بسعادة مدهشة:«وأنا قد احببتك دائما. على الرغم من تلك الرسالة القصيرة المثبطة للعزيمة التي تركتها لي.» ابتسم وتابع:«تلك الرسالة هي التي جعلتني اقرر بأنك ربما بحاجة لبعض الوقت... للشفاء من كلايف والماضي.»
«ليس لهذا السبب كتبت الرسالة. كتبتها لأنني عرفت فجأة بأنني احبك... واعتقدت بأنك على علاقة مع كارين.»
«يا لنا من ثنائي مغفل!» ضحك لوسيان وتابع:«لنذهب الى أي مكان هادىء، ولنقضي السنتين القادمتين بعيداً عن كل سوء التفاهم البغيض هذا الذي ابتدعناه نحن ونبدأ بالتعرف على بعضنا البعض بدقة.»
قالت له:«اريد ان اسألك اولاً، هل انت من اشترى رسوماتي، عليّ ان اعرف الحقيقة.»
قطب لوسيان، ثم تعاطف معها:«إذاً هذا ما كنت تسعين لأجله؟» هز رأسه:«لا، لم اشتر رسوماتك، ولا

اعرف حتى من اشتراها ... لكنني اعلم فعلاً بأن لديه ذوق جيد.» ما ان ابتسمت باطمئنان، حتى تابع:«إذا اجيبي على سؤالي. إلى اين تريدين الذهاب يا سيدة كينغسلي مستقبلاً؟»

«ما الذي يجعلك واثقاً الى هذا الحد بأنني سأصبح السيدة كينغسلي؟»

«لأنني لن استسلم الى ان تقولي أجل. لو اضطررت ان اسألك مليون مرة لن استسلم الى ان تقولي موافقة.

تنهدت جنيفر، وامتلأت بسعادة مفاجئة لم تحلم بها ابداً من قبل. ما هذا الخيار الذي لديها؟

قالت:أجل.»

بعد أقل من شهرين، كانت السيدة كينغسلي في الاستديو الخاص بها في ريجينت بارك تنظر الى الصورة النصفية التي ترسمها لزوجها... وتبتسم ابتسامة عميقة الرضى.

في غضون اسابيع، تبدلت حياة جنيفر كلها. لقد سلمت المتجر... شيرين وجدت عملا... وانتقلت الى لندن بعد حفل زفاف سخي شاركت فيه القرية بأكملها، وكانت العمة ميمي ضيفة الشرف وقد بدت سعيدة جداً بزواجهما.

تمت